بسم الله الرحمن الرحيم

الإشارات الفؤادية

في التعليق على المنظومة التبريزية

في العقيدة الصحيحة السنّية

مقتبسة من شرح وتوثيق

الدكتور: مرزوق بن هيّاس آل مرزوق الزهراني

الأستاذ المشارك في قسم علوم- بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالمدينة

شرح وتوضيح

صاحب الفضيلة

الشيخ: فؤاد بن يوسف أبو سعيد حفظه الله تعالى

نائب رئيس المجلس العلمي للدعوة السلفية بفلسطين

إمام وخطيب مسجد الزعفران بالمغازي

مسجد الزعفران- ٢٠/ ربيع الآخر/ ١٤٣٩هـ، الموافق: ٧/ يناير/ ٢٠١٨م

المنظومة (١) التبريزية

في

العقيدة الصحيحة السنّية

وهذه أبياتها:

قال الذهبي في معجم شيوخه أَنْشَدَنَا الْقَاضِي عَبْدُ الْقَاهِرِ لِنَفْسِهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ:

١- كَمْ بَيْنَ بَانِ الأَجْرَعِ وَرَامَةٍ وَلَعْلَعِ ... مِنْ قَلْبِ صَبٍّ مُوجَعٍ سَكْرَانَ وَجْدٍ لا يَعِي

٢- تَرَاهُ مَا بَيْنَ الْخُلَلِ جَرِيحَ أَسْيَافِ الْمُقَلِ ... فَارْفُقْ بِهِ وَلا تَسَلْ عَنْ قَلْبِهِ الْمُضَيَّعِ

٣- وَدَّ الْحِمَى فَأَخْلَصَا إِذْ حَقُّهُ قَدْ حَصْحَصَا ... فَوُدُّهُ أَنْ يَخْلُصَا مِنَ الْحَضِيضِ الأَوْضَعِ

٤- إِلَى الْمَقَامِ الأَوَّلِ وَمَعْهَدِ الأُنْسِ الْحَلِي ... وَالْمَرْبَعِ السَّامِي الْعَلِي سُقْيًا لَهُ مِنْ مَرْبَعِ

٥- رَحَلْتُ عَنْ ذَاكَ الْفَضَا لا بِاخْتِيَارِي وَالرِّضَا ... فَيَا زَمَانًا قَدْ مَضَى إِنْ عَادَ مَاضٍ فَارْجِعِ

٦- وَارْكَعْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَى رُكُوعَ خَوْفٍ وَرَجَا ... وَعَدِّ فِي سُفْنِ النَّجَا إِلَى الْفَضَاءِ الأَوْسَعِ

٧- عَلَيْكَ بِالتَّهَجُّدِ وَقُمْ طَوِيلا وَاسْجُدِ ... وَبِتْ نَدِيمَ الْفَرْقَدِ وَاشْرَبْ كُئُوسَ الأَدْمُعِ

٨- قِفْ عِنْدَ حُكْمِ الْمُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ مَا تَحَرُّفِ ... وَلا تَخُضْ وَقَعْتَ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ

٩- فَإِنَّهُ كَلامُهُ أَعْيَا الْوَرَى نِظَامُهُ ... وَبَهَرَتْ أَحْكَامُهُ الْغُرُّ جَمِيعَ الشِّيَعِ

---

(١) **الرجز** [بالتحريك: ضَرْبٌ من الشِّعْرِ، وزْنُهُ: مُسْتَفْعِلُنْ سِتَّ مَرَّاتٍ، سُمِّي لِتَقارُبِ أجْزائِهِ، وقِلَّةِ حُروفِه]. القاموس المحيط (ص: ٥١١).

و[**الرجز** بحر من البحور ونوع من أنواع الشعر يكون كل مصراع منه مفردًا وتسمى قصائده أراجيز جمع أرجوزة فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر، **ويسمى** قائله راجزًا تسمية قائل بحور الشعر شاعرًا]. مجمع بحار الأنوار (٢/ ٢٨٩).

والمنظومة: [قصيدة شعريَّة "مقطع شعريّ من منظومة وطنيَّة"]. معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٣٦)

١٠- مِنْهُ كَمَا جَاءَ بَدَا فَكُنْ بِهِ مُعْتَضِدَا ... وَلا تُجَادِلْ أَحَدًا فِي آيَةٍ وَارْتَدِعِ

١١- وَلا تُؤَوِّلْ مَا وَرَدْ للَّهِ مِنْ سَمْعٍ وَيَدْ ... وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدْ قَوْلَ امْرِئٍ مُتَّبِعِ

١٢- وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلّ كَلَّمَ مُوسَى ذَا الْوَجَلْ *** لَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلْ جَهْرًا كَلامًا مُسْمِعِ

١٣- أَصْغَى إِلَيْهِ فَوَعَى بِأُذْنِهِ مَا سَمِعَا *** ثُمَّ أَجَابَ مُسْرِعًا جَوَابَ ثَبْتٍ أَرْوَعِ

١٤- وَلا تُوَافِقْ مَنْ غَوَى وَقُلْ بِأَنَّ ذَا الْقُوَى *** حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا أَرَادَ فَاسْمَعِ

١٥- وَهُوَ تَعَالَى فِي السَّمَا عَالٍ وَمَعْنَا أَيْنَمَا *** بِغَيْرِ كَيْفٍ لا كَمَا يَخْطُرُ لِلْمُبْتَدِعِ

١٦- مَنْ قَاسَهُ مِنَ الْبَشَرْ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرْ *** وَقَدْ أَطَاعَ وَنَصَرْ أَمْرَ الْهَوَى الْمُتَّبَعِ

١٧- وَيْلاهُ مِنْ وَزْنِ الْعَمَلْ وَبَحْرُهُ عندِي وَشَلْ *** قَدْ غَاضَ طَامِيهِ وَقَلَّ فَمَا تَرَى فِي مَنْبَعِ

١٨- وَاعْتَرَضَتْ جَهَنَّمُ وَنَارُهَا تَضْطَرِمُ *** وَكُبَّ فِيهَا الْمُجْرِمُ وَقِيلَ يَا نَارُ ابْلَعِي

١٩- وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ تَزَخْرَفَتْ لِمَنْ عَبَدْ *** وَقَامَ لَيْلا وَسَجَدْ فِي طِمْرِهِ الْمُرَقَّعِ

٢٠- وَنَهَدَتْ أَبْكَارُهَا وَاطَّرَدَتْ أَنْهَارُهَا *** وَغَرَّدَتْ أَطْيَارُهَا فِي كُلِّ غُصْنٍ مُونِعِ

٢١- يَا مَنْ لَهُ تَبَتُّلِي فِي كُلِّ لَيْلٍ أَلْيَلِ *** وَمَنْ إِلَيْهِ مَوْئِلِي دُونَ الْوَرَى وَمَفْزَعِ

٢٢- صَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرْ مِنْ كُلِّ أُنْثَى وَذَكَرْ *** مُحَمَّدٍ وَجْهِ الْقَمَرْ ذِي الْجَانِبِ الْمُمَنَّعِ (٢)

---

(٢) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/٤٠٩، ٤١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، **نَحْمَدُهُ** وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، **وَنَعُوذُ** بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، **مَنْ** يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، **وَمَنْ** يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، **وَأَشْهَدُ** أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، **وَأَنَّ** مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. (آل عمران: ١٠٢)

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}. (النساء: ١)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ* وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}. (الأحزاب: ٧٠- ٧١)

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، **وأحسن** الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم **وشر** الأمور محدثاتها، **وكل** محدثة بدعة، **وكل** بدعة ضلالة، **وكل** ضلالة في النار.

أعاذنا الله وإياكم من النار، **ومن كل** عمل يقرب إلى النار، الله آمين.

لقد اعتمدت في شرحي هذا على شرح من سبقني إلى شرح هذه المنظومة، أو الأرجوزة أو القصيدة الشعرية، وقد سبقني في ذلك **وهو** أخونا الدكتور/ **مرزوق بن هيّاس آل مرزوق الزهراني،** (الأستاذ المشارك في قسم علوم- بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالمدينة)، وهي التي درست فيها، حيث قدم لها بترجمة، **وشرَحَها** شرحا وافيًا، و**استفدت** منه كثيرا، **واقتبست** من شرحه غالب المعلومات، **فأراحني** إلا بعض المعلومات حيث كنت أراجعها للتأكد؛ **بل** إن شئت فقل: ما كان من

عملي إلا التهذيب والاختصار، **وبعض** الإرشادات عند الحاجة، **وتركت** حواشيَه كما هي، **إلا** ما لا بدَّ من توضيحه، أو بيانه، فالحواشي التي وضعها تركتها إلا ما لابد منه.

وأبدأ كلامي بترجمة مختصرة للناظم، مقتبسة من المقدمة المشروحة:

فمن هو مؤلف وناظم هذه الأرجوزة أو القصيدة؟

ترجمة الناظم

أولا: **نسبه**:

عبد القاهر بن محمد ([٣]) بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم بن موسى، =ويلقب= جمال الدين، أبو محمد وأبو بكر، =أي أبناؤه= التبريزي، ثم الحراني، الخطيب، القاضي، الشافعي. ([٤])

نسبته:

=ونأتي الآن إلى توضيح كلمة **التِّبْرِيْزِيّ**: في معجم البلدان؛ بكسر التاء، وسكون الباء= نسبة إلى تبريز، ([٥]) أشهر مدن أذربيجان، ([٦]) كانت مدينة عامرة حسناء، ذات أسوار محكمة بالآجُرِّ والجَصِّ، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها، وعمارتها بالآجر =أي الفخار= الأحمر المنقوش والجص، =وهو الشيد أو الجبس، وهي= على غاية الإحكام، وكانت تبريزُ قريةً حتى نزلها الروّاد الأزدي، المتغلب على أذربيجان في أيام المتوكل، ثم إن الوجناء بن الرواد، =وهذه أسماء قادة فاتحين، أو محتلين إذا كانوا من الأعداء= بنى بها هو وإخوته قصورا، وحصنها بسور فنزلها الناس معه،

([٣]) عند الذهبي: عبد القاهر بن عبد الواحد، ولعله نسبه لجده، =والصحيح أن أباه اسمه محمدا.=

([٤]) الدرر (٣/ ٧)، ومعجم الشيوخ (٢/ ٤٠٨)، والدليل الشافي (١/ ٤٢٣)، فوات الوفيات (٢/ ٣٦٧).

([٥]) [تِبْريزُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وياء ساكنة، وزاي]، معجم البلدان (٢/ ١٣).

([٦]) وأذربيجان هي [مدينة في الجزء الشمالي الغربي من إيران، وهي عاصمة منطقة أذربيجان، مدينة على هضبة أذربيجان وتقع في شمالي غربي إيران وهي قاعدة أذربيجان وإليها ينسب كثير من العلماء منهم أبو زكريا يحيى المعروف بابن الخطيب التبريزي الإمام الحجة في اللغة والنحو]. (تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير).

عصمها الله =سبحانه وتعالى= من التتار سنة (٦١٨) ثمان عشرة وستمائة من الهجرة، بسبب ما بذل أهلها للصلح، وقد خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم. (٧)

=أما نسبه فهو= الحَرَّانيّ: نسبة إلى حرّان، بلدة من الجزيرة، =ما معنى الجزيرة؟ ليست الجزيرة العربية، وإنما الجزيرة التي في الشام، وليست شبه الجزيرة العربية،= وحران بطن من همدان، كان بها جماعة من الفضلاء والعلماء، وهي من ديار ربيعة أو مضر، ظهر بها الصابئة وهم الحرانيون المذكورون في كتب الملل والنحل. (٨)

=أما نسبته؛ عندما قلنا= **الشافعي**: =فهي= نسبة إلى إمام المذهب؛ **محمد** بن إدريس بن شافع القرشي. (٩) =رحمه الله تعالى.=

=و= **القاضي**: نسبة إلى القضاء بين الناس والحكومة، وأَوَّلُ من عرف بهذه النسبة؛ سلمان =وعندما بحثت وجدت سلمان وسليمان، يعني الخطأ في الاسم، سلمان= بن ربيعة الباهلي، وهو أول قاضٍ استُقضِي بالكوفة، فمكث بها أربعين يوما لا يأتيه خصم. (١٠)، =عدلٌ تامٌّ، وانعدام المشاكل بين الناس.=

ولادته:

ولد =الناظم رحمه الله= بحران (١٥/ ٨/ ٦٤٨ هـ) نصف شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة من الهجرة.

---

(٧) معجم البلدان (٢/ ١٣).
(٨) الأنساب (٢/ ٢٤٠)، بتصرف و (٤/ ٩٦).
(٩) الأنساب (٩/ ٢٩٧)، (٢/ ١٠٥)، (٨/ ٦٧).
(١٠) الأنساب (١٠/ ٤٨٧)، (٢٥، ٦/ ٨٩).

سعيه في طلب العلم: أصله من بخارى، ومولده بحران، ومنشؤه =أي عاش طفولته وما بعدها بدمشق= واشتغاله =أيضا= بدمشق. ([11])، =يعني قضى غالب عمره بدمشق.=

من **أشهر شيوخه**:

١) **تاج الدين الفزاري**: عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، أبو إسحاق. ([12])

٢) **والنجم الموغاني**: =بالغين= نسبة إلى موغان، هكذا يقول أهلها بالغين المعجمة، و =لكن قيل:= هي **موقان** =بالقاف=؛ ولاية بأذر بيجان، فيها قرى ومروج كثيرة، أكثر أهلها من التركمان، وهي بين إربيل وتِبريز في الجبال. ([13]) وقد تفقه على هذين الشيخين، =تاج الدين الفزاري ونجم الدين الموغاني، و =أيضا= قرأ القرآن على:

=شيخه= ٣) **الزواوي** ([14]): =وهو= محمد بن سليمان بن سومر، أبو عبد الله، البربري، قاضي القضاة، جمال الدين، المالكي. ([15])

٤) **ومجد الدين الظهير**، سمع منه القصيدة البائية، التي أولها: كل حي إلى الممات ذهابه، =وهي قصيدة طويلة بحثت عنها ما وجدتها.=

حالته الاجتماعية:

حكى عنه =تلميذه= الذهبي =رحمه الله= وغيرُه: أنّ أمّه ماتت وهي ابنةُ عشرين سنة، وأنّ أباه قدم به دمشق وهو ابنُ ستٍّ، وكان تاجرا ذا مال، فمات فكفله عمُّه عبد الخالق، ورجع به إلى

([11]) معجم الشيوخ (٢/ ٤٠٩)، والدرر (٣/ ٨).
([12]) ذيل التقييد (٢/ ٧٩).
([13]) معجم البلدان (٥/ ٢٢٥).
([14]) الدرر (٢/ ٨).
([15]) معجم الشيوخ (٢/ ١٩٤)، وذيل التقييد (١/ ١٢٨)، والدرر (٤/ ٦٨)، وانظر برنامج الوادي آشي: (١٤٢)، والوافي بالوفيات (٣/ ١٣٧- ١٣٧)، والبداية والنهاية (١٤/ ٨٧)، والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٩)، والشذرات (٦/ ٤٤).

حرّان، وباع أملاكه بثمانين ألفا، =كم أخذ منها هذا اليتيم؟ نسمع= وردَ به عمه إلى دمشق، فقال له يوما: =العم يقول لابن أخيه اليتيم=

(**امض بنا نتفرّج**)، =نأخذ فرجة وفسحة في الحدائق والبساتين=، فخلا به عمّه وخنقه حتى غشي عليه، فرماه في حفرة وطمّ عليه التراب، ظنًّا منه أنّه قد مات، فعل هذا طمعا في ما ورث من أبيه من مال، فمرَّ =به= بعد ذلك شخص جلس يبول، =أتفه الأسباب قد تنقذ إنسان أو تأتي بأمور وأشياء عجيبة جدا=، فرأى المدرَ =أي الحجر= يتحرك بتحرك رجليه، فاستخرجه، فقام يعدو إلى الماء من شدة العطش فشرب، وتوجّه إلى بعض أقاربه من النساء، فأقام عندها مختفيا، حتى بلغ وحفظ القرآن، فمرّ يوما فإذا بعمِّه، =وجهًا لوجه= فقال:

(**هاه جمال الدين امش بنا؟!!**) فلم يكلمه، =فرَّ من بين يديه=، ثم رآه مرة أخرى بالجامع، فغاب منه، وتوجّه عمّه إلى اليمن، فأقام بها، بعد أن أخذ مال ابن أخيه، =أصبح من الأغنياء والأثرياء، ولم يذكر هنا كما ذكروا في التاريخ بأنه استوزر باليمن، وأصبح وزيرا في اليمن؛ لأنه غني وثريّ على حساب هذا اليتيم.=

والعجيب أن التبريزيَّ لم يطالب عمَّه بشيء، ولم يعاتبه على فعلته الشنعاء عندما رآه، وهذا ينبئ عن أدبٍ وخيرٍ وبركةٍ فيه، وهو ما ظهر عليه، فقد تفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري، والنجم الموغاني، وكان =التبريزي= قاضيا مشهورا، وخطيبا بليغا. ([١٦])، =فمن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.=

من تلاميذه:

الذهبيُّ: قال: أنشدنا القاضي عبد القاهر لنفسه، سنة (٧٠٤) أربع وسبعمائة من الهجرة:

([١٦]) الدرر (٢/ ٨)، وفي فوات الوفيات (٢/ ٣٦٧- ٣٦٨)، أتم مما في الدرر.

كَمْ بَيْنَ بَانِ الأَجْرَعِ وَرَامَةٍ وَلَعْلَعِ ... مِنْ قَلْبِ صَبٍّ مُوجِعٍ =أو موجَعٍ= سَكْرَانَ وَجْدٍ لا يَعِي. (١٧)، إلى تمام المنظومة التي نحن بصدد شرحها.

مكانته العلمية:

كان عارفا باللغة، خبيرا بالأحكام، قويَّ المشاركة، له نظم رائق ومحاسن كثيرة.

عقيدته:

=فقد= قال الحافظ ابن حجر =رحمه الله=: قرأت بخط البدر النابلسي، كان عالما فاضلا، على معتقد السلف، وقال الذهبي: عزله القزويني لكونه أثبت ولم يتأوَّل، (١٨)، =أثبت صفة فارقة هي الاستواء؛ لأنه لم يتأول الاستواء=، فسار التبريزي إلى مصر، فولاّه ابن جمّاعة نيابة دمياط.

وهذا مؤيّد بقصيدته هذه، وأنه على منهج السلف في الاعتقاد، ولذلك عزله القزويني الأشعري؛ لأنه لم يتأوّل الاستواء.

ذِكر بعض صفاته:

كان مليح الصورة، أبيض مستدير اللحية، فصيح العبارة، فاخر البَزّة. (١٩)، =يعني يلبس الملابس الحسنة الطيبة.=

مناصبه =التي شغلها=:

١) ناب في القضاء =وغيره= عن الزرعي في **صفد**؛ مدينة في جبال عاملة من جبال لبنان المطلّة على حمص. (٢٠)، =ولكن حسب الوضع الجغرافي الجديد، أُدخلت مدنٌ في بلدان ودول أخرى كما سنعلم أيضا.=

---

(١٧) معجم الشيوخ (٢/ ٤٠٩).
(١٨) الاستواء.
(١٩) الدرر (٢/ ٨).

٢) وكان قد ناب في **عجلون**: من مدن الشام اليوم، =يقول الشيخ الدكتور الزهراني:= -ولم أقف على من وصفها.-

هكذا قال أخونا د. مرزوق الزهراني حفظه الله، ولكني =عندما بحثت= وجدت وصفها في كتاب (**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**)، لابن شداد، عزِّ الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، حيث قال: [قلعة عجلون؛ وهي بين بلد السواد -من أعمال الأردن- وبين بلاد الشراة، مُحدثة صغيرة =يعني جديد دخل فيها الناس= على جبل مطلّ على الغور، تُرى من القدس ومن جبال نابلس].

وذكرها ابن بطوطة في رحلته ([٢١]) فقال: [ثم سافرت منها إلى مدينة عجلون؛ وهي بفتح العين المهملة، =وليست عِجلون أو عُجلون، ولكنها بفتح العين= وهي مدينة حسنة، لها أسواق كثيرة، وقلعة خطيرة، ويشقُّها نهر ماؤه عذب].

=ووجدت أيضا= وجاء في (المعجم الجغرافي للامبراطوريه العثمانية) ([٢٢]): [**عجلون**؛ بلدة في فلسطين، شرقي الأردن، ([٢٣]) في ولاية دمشق، لواء حوران]، و =لكن= في الحاشية =علق على هذا الأمر فقال=: [تتبع المدينة اليوم المملكة الأردنية الهاشمية، وتقع جنوب مدينة إربد، على خط العرض ٢٠، ٣٢، والطول ٤٥، ٣٥].

=**وهذه المدينة** زرتها وصليت في أحد مساجدها، ووجدتها في منخفض شديد، وهي مطلة على فلسطين، حدود الأردن من الجهة الشمالية الغربية، ولعلّ النهر الذي ذكروه هو نهر الأردن، والله أعلم، فتولى نيابة قضائها.=

([٢٠]) معجم البلدان (٣/ ٤١٢).

([٢١]) رحلة ابن بطوطة. ط أكاديمية المملكة المغربية (١/ ٢٥٦).

([٢٢]) المعجم الجغرافي للامبراطوريه العثمانية. (ص: ٣٦١)، رقم: (٥٧٩٣٥).

([٢٣]) خطأ، ففلسطين غربي الأردن.

٣) **ونابَ في سَلَمْيَةُ**: بليدة في ناحية البرية، من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين في ذلك الوقت، وفي تسميتها =سلمية= قصة: أنه لما نزل العذاب بالمؤتفكة، وهي قريبة منها، رحم الله منهم مائة نفس فنجوا، فانتزحوا إلى موقعها، فعمروا وسكنوا، فسمي الموقع؛ (سلم مائة)، ثم حرف الناس بعد ذلك اسمها، فقالوا: (**سَلَمْيَةُ**) بالتخفيف =ودون تشديد=، ثم إن صالح بن علي بن عباس اتخذها منزلا، وبنى هو وولده الأبنية فيها ونزلوها، وبها محاريب سبعة، يقال: تحتها قبور التابعين، وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير، نسب إليها جماعة من العلماء. ([٢٤]) =والنسبة إليها السَّلَمِيّ.=

٤) ثم ولي في الآخر قضاء **دمياط**: مدينة بين تنيس ومصر،... =وبها توفي رحمه الله.=

مؤلفاته:

أنشأ خُطَبًا سماها (**تحفة الألِبَّاء**)، وهي على حروف المعجم، =فمن وجدها يتحفنا بها.=

في مجلد، ونظم في وقعة التتار بشقحب؛ ([٢٥]) =هي قرية من أعمال دمشق،= كانت بقيادة ابن تيمية =رحمة الله تعالى عليه= في أول رمضان سنة (٧٠٢) ثنتين وسبعمائة من الهجرة، وحصل للناس شدة عظيمة، وظهر فيها من كرامات الشيخ، وإجابة دعائه وعظيم جهاده، وفرط شجاعته ونهاية كرمه، ونصحه للإسلام وغير ذلك ما يتجاوز الوصف... ([٢٦])

ومن شعره في قلعة صفد لما حاصرها الظاهر بيبرس:

إذا القلعة الشماء باتت حصينة ... وبات على أقطارها القوم رصدا

([٢٤]) معجم البلدان (٣/ ٢٤٠). =وانظر أيضا (مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع)، لعبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ) (٢/ ٧٣١).=

([٢٥]) موضع قرب دمشق، وهي قرية صغرة قبلي دمشق على تخوم أرض حوران تبعد عن دمشق (٣٧) كيلو مترا. وشقحب تقع تحت جبل غباغب، ==هكذا قالوا في اللغة كما قال الزبيدي في تاج العروس،== وهي قرية في أول عمل حوران، انظر: تاج العروس (١/ ٣٢٤) ومعجم البلدان (٤/ ١٨٤) والسلوك (١/ ٩٣٢).

([٢٦]) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم (٢/ ٨).

ترى منجنيقًا يذهبُ العقل حسُّه ... يغادرهم بين الأسرة همدا

إذا ما أراها السهمَ منه ركوعه ... يخرُّ له أعلى الشراريف سجدا. ([٢٧])

وفاته =رحمه الله=:

مات بدمياط في جمادى الآخرة سنة (٧٤٠) أربعين وسبعمائة من الهجرة، وله (٩٢) ثنتين وتسعين سنة. ([٢٨])

([٢٧]) الدرر (٢/ ٨- ٩). =(أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي (٣/ ١٢٩).=

([٢٨]) الدرر (٢/ ٩).

شرح المنظومة:

قال الناظم عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد التبريزي رحمه الله، =في قصيدته هذه، أو منظومته أو أرجوزته التي يقولون عنها من نوع=؛ مجزوء الرجز، أي أنه قسم البيت إلى أقسام، والبيت يكون على وتيرة واحدة:=

١- كَمْ بَيْنَ بَانِ الأَجْرَعِ وَرَامَةٍ وَلَعْلَعِ * مِنْ قَلْبِ صَبٍّ مُوجَعٍ سَكْرَانَ وَجْدٍ لا يَعِي**

بدأ الناظم رحمه الله هذه المنظومة بما درج عليه الكثيرون من الشعراء قبل الإسلام وبعده من طَرْق باب الغزل، **=فما معنى الغزل؟** التكلم بشغف وحب من القلب، سواء حب للديار، أو حب للنساء أو حب للدين وما شابه ذلك، تكلم من هذا الباب وهو باب الغزل،= ففيه براعة استهلال، واستجلابٌ لنظر الحاضر وسمعه في آن واحد، ... =فالسمع والنظر= أقوى في الضبط، وأوعى للسمع، وقد سلك هذا الصحابي كعب بن زهير في قصيدته، والتي استهلها =في مدح النبي صلى الله عليه وسلم= بقوله:

بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا ... إلاّ أَغَنُّ غَضَيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

والتي يقال: إنه أنشدها في المسجد النبوي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه كساه بُردتَه، **وقيل:** إن معاوية =رضي الله تعالى عنه= طلبها منه بعشرة آلاف درهم، فأبى، وقال: **(ما كنت لأوثر بها أحدا)**، فلما مات باعها الورثة على معاوية =رضي الله عنه= بعشرين ألف درهم.

كَمْ بَيْنَ بَانِ الأَجْرَعِ وَرَامَةٍ وَلَعْلَعِ *** =مِنْ قَلْبِ صَبٍّ مُوجَعٍ؛ بالكسر وبالفتح، سَكْرَانَ وَجْدٍ لا يَعِي.=

كم؛ ليست استفهامية، =تحتاج إلى جواب، وإنما تحتاج إلى الكثرة،= بل =هي هنا كما يقولون=: خبرية، والمراد بها هنا الإخبار بكثرة هذا النوع من القلوب؛ =لأنه جاءت كلمة من قلب، كم من قلب.=

والبان؛ =معناه= شجر =طويل= مستقيم =كثيرا ما يتغنى به الشعرءا، وتوصف به النساء، فيقولون: عودها مثل عود البان، حتى قال صاحب القاموس الفيروز أبادي بأنه يتخذ منها دواء أي من العصير، عصير أشجارها يتخذ منه دواء لكثير من الأمراض، وهي= الأغصان طويلها كثيرا ما تغنى به الشعراء.

والأجرع؛ هو علم على موضع باليمامة. ([٢٩])

رامة: =لو بحثنا في الجغرافيا لوجدنا أن رامة عبارة عن منزل، وتطلق على أكثر من مكان، وهي= منزل في طريق البصرة إلى مكة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين **رامة** وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة.

أو **رامة:** من قرى بيت المقدس بها مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الأقرب في نظري. ([٣٠])، =وهذا قول الشيخ الدكتور مرزوق ابن هياس الزهراني، وفعلا لعلها هي التي قصدها الناظم.=

ولعلع: موضع على طريق الحاج من البصرة، بينه وبين أقر ثلاثون ميلا. ([٣١])، =وهذه مناطق للحجاج كانوا يستريحون فيها، فكان يذكرها هذه المناطق كلها، كم هذه الأشياء؟=

مِنْ قَلْبِ صَبٍّ مُوجِعٍ سَكْرَانَ وَجْدٍ لا يَعِي:

أي من قلوب كثيرة أصابها العشق الشديد، **فالصب:** هو العاشق، والصبابة غاية العشق، ولذلك قال: **موجع،** =وإذا قلنا موجَع بالفتح اسم مكان للقلب، هو فيه ألم ووجع، وإذا قلنا موجِع بالكسر

([٢٩]) (معجم البلدان ١/ ١٠٢).
([٣٠]) (معجم البلدان) (٣/ ١٧، ١٨).
([٣١]) (معجم البلدان) (٣/ ١٨).

يعني من يراه يشفق عليه، وعلى قلوب الناس الآخرين، وعلى كِلا الأمرين جائز إن شاء الله،= أي أصابه الألم من شدة الوله، وأرّقه ما نزل به من ذلك، ([٣٢]) حتى أصبح شبيها بمن ولغ المسكر المحرم فأفقده صوابه، =أحيانا مع الحبيبة والعشيقة وما شابه ذلك، تجد أن ما يصيبه كواحد سكران، يصاب بذهول وغيبوبة، تجده في خبر آخر؛ لأنه يفكر في أشياء وأشياء، وهنا في قلب صب موجع سكران، ولذلك قال الله تعالى عن الناس يوم القيامة: **{وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}**. (الحج: ٢)، إذا السكر يغيب العقل، شدة العشق والحب تغيّب العقل، وشدة الخوف تغيِّب العقل، لكن هنا سكران وجد، ما شرب شيئا محرما، وإنما الوجد لا يعي،= وإن كان ذلك من حرام، لكن سكر المشبه هنا من نوع آخر، وهو فقدان الوعي من ولع شديد بشيء مباح، كما هو معلوم من غاية هذه المنظومة.

والوجد: الحب الشديد، =وهو الذي سبب فيه هذه الأمور،= ومنه ما ورد في حديث ابن عمر، وعيينة بن حصن =عندما كانوا يصفون امرأة: **"والله ما بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد"**. ([٣٣])، =أي أن زوجها وإن تزوجت لا يحبها، وإن تزوجت فإنها لا تلد أيضا، يعني هذه صفات سيئة في المرأة.= أَي أَنه لَا يُحِبُّهَا. ([٣٤])

=وأما البيت الثاني:=

٢- تَرَاهُ مَا بَيْنَ الْحُلَلِ جَرِيحَ أَسْيَافِ الْمُقَلِ ... فَارْفُقْ بِهِ وَلا تَسَلْ عَنْ قَلْبِهِ الْمُضَيَّعِ

تَرَاهُ مَا بَيْنَ الْحُلَلِ جَرِيحَ أَسْيَافِ الْمُقَلِ:

=الحِلل جمع حِلّة، والحُلل جمع حُلُّة، والحُلُّة اللباس، والحِلّة إناء للطعام، فهل يعني أن جالس بين الأواني؟! ولكن المقصود الحلل وتعني للملابس، والله أعلم، فأنتم ضبطتموها على الحِلل، فربما يكون

([٣٢]) لسان العرب (١/ ٥١٨).

([٣٣]) النهاية (٥/ ١٥٦).

([٣٤]) تاج العروس (٩/ ٢٥٦)

الأكل الكثير تراه بينها، ومع ذلك فهو لا يفكر إلا في محبوبه سواء في الطعام أو في الملابس، قال الشيخ:= أي: تنظر إلى =الحبيب= في حلل بهيجة، تدل على مكانة كريمة، =فالذي يجلس بين الثياب الفاخرة، وأمامه الأواني الجميلة لا يكون في مكانة كريمة، وكذا من كان في= مُلك وغنى.

والحلل مفردها حُلّة: وهي الفاخر من الثياب، =فالشيخ وضح الأمر=، وكانوا لا يسمون اللباس حلة إلا إذا اشتمل على إزار ورداء من نوع واحد، وهي أنواع بحسب العادات والأعراف، =والحُلل= مما هو لباس العظماء، من الأغنياء وغيرهم، ([٣٥])

فإذا كان هذا حاله، =ومعه الحلل وما شابه ذلك= وهو مع ذلك مضرّج =أي مضرجا بدمائه، وهو= جريح، صرعه ما حل به من طعن **المقل**، جمع مقلة: وهي الحدقة: =وهي العين،= الناظر من العين، لكنه هنا أراد العين، ([٣٦]) بلحظها وجمالها، ولم يرد جزءا منها، =لا المقلة والحدقة، وإنما العين بأكملها،= وقد شبه اللحظ منها بالأسياف الشديدة المضاء والفتك، =وهذه تعبيرات عجيبة جدا يتوه الإنسان فيها، شبه اللحظة من النظر بالأسياف الشديدة المضاء والفتك، ولذا قال:=

فَارْفُقْ بِهِ وَلا تَسَلْ عَنْ قَلْبِهِ الْمُضَيَّعِ:

لأن من كان هذا حاله يرفُل في حلل، وهو في الوقت ذاته صريع مضرّج، فالأدعى لحاله أن تزيد الشفقة به، =قلب موجَعٍ، وقلب موجِعٍ تزيد الشفقة به= فما أوصله إلى هذه الحال إلا أمر جلل، شبه بمن يفقد قلبه، وما حال من فقد قلبه يا ترى؟!! =إنسان فقد قلبه ويبحث عنه، هل مات قلبه وانتهى؟ وهو موجود حي، فكيف يكون هذا؟ كلُّ هذا مقدمة.=

٣- وَدَّ الْحِمَى فَأَخْلَصَا إِذْ حَقُّهُ قَدْ حَصْحَصَا ... فَوُدُّهُ أَنْ يَخْلُصَا مِنَ الْحَضِيضِ الأَوْضَعِ

وَدَّ الْحِمَى فَأَخْلَصَا إِذْ حَقُّهُ قَدْ حَصْحَصَا:

([٣٥]) النهاية (١/ ٤٣٢).

([٣٦]) النهاية (٤/ ٣٤٨)، ولسان العرب (١١، ٦٢٧).

=وَدَّ الْحِمَى= أي أخلص الودَّ لأهل الحي؛ =الحمى=، **والود**: المحبة الخالصة، ([٣٧]) =ولذلك من من أسماء الله تعالى الودود،= ولا يكون الودُّ إلا في مداخل الخير، ولذلك أكَّد، خلوصَ الودِّ للحمى قدرا لمن حل به ممن عشق، وقد كان **حقٌّ** هذا الحيِّ قد ظهر ووجب، ولا مفرَّ من إخلاص الودِّ له فقد نزل به محبوبه، وقد سمَّى الحيَّ حميً؛ تشبيها بالحمى المصان الممنوع، سواء كان ماديًّا كأحمية الديار، أو معنويًّا كما ورد في حديث الإفك من قوله =أو من قولها=: **"أحمي سمعي وبصري"**. ([٣٨]) أي أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه، وبه أصونهما من العذاب. ([٣٩])

=فمن قائل أحمي وسمعي الوارد في الحديث؟ القائل ذلك زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، عندما سُئِلت عن عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، تكلمي قولي، فقالت: أحمي سمعي وبصري، تحميه من ماذا؟ من العذاب؛ لأنها لو تكلمت -كما تكلم الناس- تخشى أن تقع في العذاب ، فحمت سمعها وبصرها رضي الله تعالى عنها.=

فَوُدُّهُ أَنْ يَخْلُصَا مِنَ الْحَضِيضِ الأَوْضَعِ:

أي مرغوبه ومقصوده من هذا الحبِّ أن يكون نظيفا نقيًّا من الأدران التي تنزل بصاحبها إلى **الحضيض**، =والحضيض:= هو قرار الشيء =أي آخره= وأسفله =منه من تحت=، وأراد الصفات الموغلة المهانة **والضعة**. ([٤٠])

وهنا يبرز مراد الناظم من هذه المقدمة الغزلية، وهو غزل في المكارم والعلا، ==وهذا مراده رحمه الله،= وليس طلبا للشهوة والهوى.

([٣٧]) النهاية (٥/ ١٦٤)، ولسان العرب (٣/ ٤٥٣).

([٣٨]) من قول زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث طويل يسرد حادثة الإفك (خ) (٢٦٦١)، (م) ٥٦-(٢٧٧٠).

([٣٩]) لسان العرب (١٤/ ١٩٩).

([٤٠]) النهاية (١/ ٤٠٠)، ولسان العرب (٧/ ١٣٦).

=قال:=

٤- إِلَى الْمَقَامِ الأَوَّلِ وَمَعْهَدِ الأُنْسِ الْحَلِي ... وَالْمَرْبَعِ السَّامِي الْعَلِي سُقْيًا لَهُ مِنْ مَرْبَعِ

إِلَى الْمَقَامِ الأَوَّلِ وَمَعْهَدِ الأُنْسِ الْحَلِي:

لعل الناظم =رحمه الله= حنّ إلى مرابع الآباء والأجداد من بلاد الإسلام، بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر، وقد خرج منها علماءُ في كلِّ فنٍّ يجاوزون الحدَّ، من أبرزهم أبو عبد الله البخاري =رحمه الله= صاحب الصحيح، وقد فتحت بخارى مرتين: الأولى في عهد معاوية رضي الله =تعالى= عنه، سنة (٥٥) خمس وخمسين من الهجرة، بقيادة سعيد بن عثمان بن عفان، والثانية: سنة (٨٧) سبع وثمانين من الهجرة، بقيادة قتيبة بن مسلم. ([٤١])

أو =حنّ= إلى حران مسقط رأسه، ومقر نشأته ولذلك وقع في النفس كبير،... ولا أظنه أراد سوى الأولى، =أي البلد بأكملها،= ولا يبعد حنينه لمسقط رأسه، وما في البيت من كلمات توحي بجواز الأمرين.

=إذن إلى المقام الأول،= ... **وَالْمَرْبَعِ السَّامِي الْعَلِي سُقْيًا لَهُ مِنْ مَرْبَعِ:**

المربع مكان الإقامة، =من الربع، تقول: ربعي كذا، والناس يقصدون بالربع اليوم جماعته وقبيلته، والربع هو المكان الذي يرتبع فيه الإنسان ويجلس،= والربع هو المنزل، =ومكان الإقامة= والدار بعينها، والوطن متى كان، وبأي مكان كان، ومنه قول رسول لله صلى الله عليه وسلم: «**وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دُورٍ؟**» ([٤٢])، وهي المنزل ودار الإقامة، ([٤٣])، =يعني عقيلَ ابنَ عمِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، يعني كلّ ورثة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، باعها، فقالوا: أين تسكن يا رسول الله؟ في مكانك ودارك؟ لكنها بيعت، انتهى فما استردها صلى الله عليه وسلم.=

([٤١]) الأنساب (٢/ ١٠٠)، ومعجم البلدان (١/ ٣٥٣- ٣٥٥).

([٤٢]) (خ) (١٥٨٨)، (م) ٤٣٩- (١٣٥١).

([٤٣]) لسان العرب (٨/ ١٠٢).

وقد وصفه **بالسمو** والعلو في المكارم، والصفات الحسنة؛ لأنه لا يوصف بذلك سواها، =مكان الإنسان الذي عاش فيه،= وطلب **السقيا** والغيث للمرابع، من أحسن الدعاء؛ لما يتبع ذلك من خير وحسن وجمال تكتسي به المرابع من الديار.

٥- رَحَلْتُ عَنْ ذَاكَ الْفَضَا لا بِاخْتِيَارِي وَالرِّضَا ... فَيَا زَمَانًا قَدْ مَضَى إِنْ عَادَ مَاضٍ فَارْجِعِ

رَحَلْتُ عَنْ ذَاكَ الْفَضَا =إذن تكلم عن دياره، الآن هو رحل= **لا بِاخْتِيَارِي وَالرِّضَا:**

أي: انتقل عن مرابعه وديار نشأته، بسبب ما قضى الله من صروف الحياة، **فالقدر** نافذ بغير اختيار من العبد، **لكنه** قد يؤول به إلى الخير؛ إما في دنياه أو في آخرته.

... **فَيَا زَمَانًا قَدْ مَضَى** =يخاطب الزمان ويناديه= **إِنْ عَادَ مَاضٍ فَارْجِعِ**، =إن عاد الزمان ارجع، وهل الماضي يرجع؟ مستحيل.=

فيه إشارة إلى أن ما مضى لا يعود، وإن تمنى المتمني، فكأن الناظم يقول: أتمنى عودة الأيام التي عشتها في تلك المرابع، ولما لم يكن ذلك حاصلا، عدل عنه إلى ما هو واقع من عدم الرجوع، للرد على ما تتمناه نفسه بأن الماضي لا يعود، وذلك آكد في يأسها، وأقوى في إقناعها.

=ما دام الماضي لا يعود ماذا سيكون؟ قال:=

٦- وَارْكَعْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَى رُكُوعَ خَوْفٍ وَرَجَا ... وَعَدِّ فِي سُفْنِ النَّجَا إِلَى الْفَضَاءِ الأَوْسَعِ

= وَعَدِّ وعدَّ وعُدْ كله جائز.=

هنا يكشف الناظم رحمه الله عن مراده من تلك الأمنية العديمة التحقُّق، =وهو أن الماضي لا يرجع،= فالزمان الماضي لا يعود، لا كُلاًّ ولا جزءا، وهذا يستدعي الحرصَ الشديد على استثمار الوقت فيما ينفع، وإلى ما تجب العناية به في استثمار الوقت، ما فيه طاعة لله ورسوله =صلى الله عليه

وسلم=، فإنه غراس الآخرة، وهو غراسٌ لا تجنى ثماره إلا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ومن أسباب السلامة حملُ النفس على الطاعات وأعمالِ الخير، **وتزكيتُها** من الشرور والآثام، فقد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها.

وقد تضمنت هذه المنظومة مباحثَ مهمةً في عبادةِ واعتقادِ المسلم، =الآن بدأ يتكلَّم فيها، عبادة واعتقادا= يجب أن يجعلها ركائزَ في أعماله وتصرفاته، وكلِّ شؤون حياته:

المبحث الأول: المحافظة على النوافل

يقول الناظم رحمه الله:

وَارْكَعْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَى رُكُوعَ خَوْفٍ وَرَجَا:

وتجاوز الناظم رحمه الله التوجيه والإرشاد إلى المحافظة على الفرائض؛ =فترك الكلام على المحافظة على الفرائض، قال:= إيماء =وإشارة= منه إلى أن الفرائض أمر مفروغ =منه و= من وجوب المحافظة عليها، وذلك =الذي يحافظ على الفرائض جاء بـ= أدنى الكمال، من فرّط في شيء منه هلك والعياذ بالله.

عن طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ =رضي الله عنه= يَقُولُ: (**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ**)، =آت من بعيدٍ ولا يُفهَم ما يقول؛ لأنَّ أهلَ نجدٍ كلامهم غير مفهوم، لكن عندما قرب فهموا منه، فسأله عن الإسلام= فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». فَقَالَ: (هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟) قَالَ: «**لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَصِيَامُ رَمَضَانَ**». قَالَ: (هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟) قَالَ: «**لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**». قَالَ: (**وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ**)، قَالَ: (هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟) قَالَ: «**لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**». قَالَ: فَأَدْبَرَ

الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: (**وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ**)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». (٤٤)

هذا الرجل أقسم أنه لا يزيد على ذلك ولا ينقص، فلم يعنفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ألزم صلى الله عليه وسلم فَلاحَه بصدقِه في عدم النقصان؛ لأنه أدنى الكمال، ولم يلزمه بالتطوع؛ لأنه زيادة طاعة على الفرض، **ولذلك** سمي نفلا.

فكأن الناظم يقول: نحن متفقون على وجوب المحافظة على أدنى الكمال، =وهي أداء الفرائض= **ولكني** أدعو إلى الكمال نفسه، **وهو** الزيادة على الفرائض، **ثم** بدأ مرة أخرى بالتوجيه إلى الكمال في أعمال النوافل، إيماء منه إلى أن أدنى الكمال في النوافل هو المحافظة على السنن الراتبة، وهي ركعتين قبل صلاة الفجر، لقول عائشة رضي الله عنها: «**لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ**». (٤٥)

وسُئلت عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ تَطَوُّعِهِ؟ فَقَالَتْ: (**كَانَ** يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، **ثُمَّ** يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، **ثُمَّ** يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، **وَكَانَ** يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، **ثُمَّ** يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، **وَيُصَلِّي** بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، **وَيَدْخُلُ** بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، **وَكَانَ** يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ، **وَكَانَ** يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا، **وَلَيْلًا** طَوِيلًا قَاعِدًا، **وَكَانَ** إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، **وَإِذَا** قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ، **وَكَانَ** إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ). (٤٦)

وعَنِ =عبد الله= ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (**صَلَّيْتُ** مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجْدَتَيْنِ =أي ركعتين= قَبْلَ الظُّهْرِ، **وَسَجْدَتَيْنِ** بَعْدَ الظُّهْرِ، **وَسَجْدَتَيْنِ** بَعْدَ المغْرِبِ، **وَسَجْدَتَيْنِ** بَعْدَ

---

(٤٤) (خ) (٤٦).
(٤٥) (خ) (١١٦٩)، (م) ٩٧- (٧٢٥).
(٤٦) (م) ١٠٥- (٧٣٠).

العِشَاءِ، **وَسَجْدَتَيْنِ** بَعْدَ الجُمُعَةِ، **فَأَمَّا** المَغْرِبُ وَالعِشَاءُ فَفِي بَيْتِهِ)، **وَحَدَّثَتْنِي** أُخْتِي حَفْصَةُ: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَعْدَ مَا يَطْلُعُ الفَجْرُ)، **وَكَانَتْ** سَاعَةً لاَ أَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا. (٤٧)

وقد عبر بالسجدتين وهو يعني ركعتين، فيكون المجموع (١٢) ثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة.

=**وقد أكد هذا**؛ حديث أم حبيبة فـ= عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ، =يعني يقوله سرًّا= قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **"مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ"**.

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: (**فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**).

وَقَالَ عَنْبَسَةُ: (**فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ**).

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ =تلميذ عنبسة=: (**مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ**).

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ =تلميذ عمرو بن أوس=: (**مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ**). (٤٨)

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ =رضي الله عنها= قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا** =وهذه أنواع للرواتب= **وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ"**. (٤٩)

وفي رواية عنها رضي الله عنها: **"مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"**. (٥٠)

---

(٤٧) (خ) (١١٧٢)، (١١٧٣).
(٤٨) (م) ١٠١- (٧٢٨).
(٤٩) (ت) (٤٢٧).

وهذا هو الكمال في الرواتب، **وأدنى** الكمال في النوافل، **أما الكمال** في النوافل فهو الإتيان بمزيد على هذا، **وهو** كمال نسبي يتفاوت من شخص لآخر، على قدر ما ينال من جهد **وحرص** على ما وجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب.

ومن ذلك =ومن أراد غير هذا؛ فعليه= الحرص على **صلاة الضحى،** والتي تسمى صلاة الأوابين، وجاء في فضلها ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا يُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ"**. قَالَ: **"وَهِيَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ"**. (٥١)

وأقلها ركعتان، **وأكملها** ثمان، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **(رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ صَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ)**. (خز) (٥٢)

وعن مُعَاذَة، أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **(كَمْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةَ الضُّحَى؟)** قَالَتْ: **(أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَيَزِيدُ مَا شَاءَ)** (٥٣)

وعَنْ أُمِّ هَانِئٍ، **(أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي بَيْتِهَا عَامَ الْفَتْحِ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ فِي ثَوْبٍ، قَدْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ)**. (٥٤)

فكأن الناظم رحمه الله يقول: أنا وأنتم متفقون على المحافظة على السنن الراتبة، **ولكن** هلموا إلى المزيد مما هو أكمل، **وذلك** ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد سُئلت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ =تعالى= عَنْهَا:

(كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟) فَقَالَتْ:

---

(٥٠) (س) (١٨١٣).
(٥١) (خز) (١٢٢٤)، وانظر الصحيحة (١٩٩٤).
(٥٢) (خز) (١٢٢٨).
(٥٣) (م) ٧٨- (٧١٩).
(٥٤) (م) ٨٣- (٣٣٦).

(**مَا كَانَ يَزِيدُ** فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا)، =وهذه صلاة الليل= (**فَلاَ** تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، **ثُمَّ** يُصَلِّي أَرْبَعًا، **فَلاَ** تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، **ثُمَّ** يُصَلِّي ثَلاَثًا) فَقُلْتُ: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟**) قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**». (٥٥)

وهذا ما عناه الناظم رحمه الله بقوله:

واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا:

فإنه إرشاد منه إلى هذا العمل الجليل الذي حرّض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، لما فيه من الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، و =هذا= **من فضل الله** على هذه الأمة أنه تعالى يقبل منهم العمل الصالح القليل، **ويعطي** عليه الأجر الكثير، **ولم يوجب** عليهم كثير من الطاعات؛ سواء كانت بدنية أو مالية، **وإنما ندب** إلى ذلك على لسان عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، **وسواء التزم** ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو زاد في قيامه فذلك خير لا ينكر استنادا إلى حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلاَةِ اللَّيْلِ، =فما أعطاه عددا،= فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى**». (٥٦)

***

(٥٥) (خ) (٢٠١٣).

(٥٦) (خ) (٩٩٠)، (م) ١٤٥- (٧٤٩).

المبحث الثاني =في العقيدة:= **الخوف والرجاء**

واركع إذا الليل دجى ركوع خوف ورجا:

هذا =مبحث= من مباحث العقيدة لبيان أن المسلم يدور أمره في الحياة بين الخوف والرجاء، **وهو** في كل شؤون الحياة الدينية والدنيوية يعمل بناء على هذه القاعدة العقدية العظيمة، **فإن** وقع منه عمل صالح استبشر ورجا الثواب من الله عز وجل، وإن وقع في معصية اشتد ندمه على ما فعل خوفا من عقاب الله عز وجل، **فالجمع** بين الخوف والرجاء من الواجبات الشرعية، **لتلازمهما** في كمال التوحيد، **كتلازم** الشهادتين في الإيمان بالله ورسوله، **وهذا** منهج أهل السنة والجماعة، داعين إليه متمسكين به إلى قيام الساعة.

والخوف:

هو من العبادات القلبية التي يتقرب بها =العبد= إلى الله تعالى، فهو القائل سبحانه: **{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**. (آل عمران: ١٧٥)، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- **الخوف الطبْعيّ، أو الجبلّي:** وهو الخوف الذي أوجده الله =سبحانه وتعالى= في نفس الإنسان بحكم الطبع البشري، **فهذا** لا حرج على المسلم من أن يخاف من عدوّه، أومن مؤذيات كالحيات والعقارب ونحوها، أو من السباع، أو =يخاف= من نار =ونحوها=، أو أي شيء فيه أذى وهلاك، **فإن** ذلك أمر جبلّي، لا عيب في وجوده، **ولا مانع** من الأخذ بالأسباب المنجية منه بإذن الله =سبحانه و= تعالى، **ومن هذا** القبيل خوف نبي الله موسى عليه السلام، قال =سبحانه و= تعالى: **{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}**. (طه: ٦٧)، ولم يعنفه الرب سبحانه، بل قال: **{قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}**. (طه: ٦٨)

وقد ذكر الله عز وجل هذا النوع من الخوف، وأنه يحدث للمؤمنين ابتلاء وتمحيصا، قال =سبحانه و= تعالى =عن خوف الطبيعة والجِبِلَّة=: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}**. (البقرة: ١٥٥)، وقال تعالى: **{قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**. (المائدة: ٢٣)، وذكره تعالى في وصف المنافقين فقال تعالى: **{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}**. (الأحزاب: ١٩)، وقال تعالى: **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}**. (النساء: ٨٣)

إذن هذا النوع خوفٌ جِبِلّيٌّ في الإنسان المؤمن وغيره على حدّ سواء، **بل** يتعدَّى الإنسان إلى الدوابِّ بكل أشكالها، **حتى** الأسد مثلا يخاف من صياده ولو قاوم.

٢- **الخوف الشرعي**: =وهو= ينقسم إلى قسمين:

أ- **خوف شرعي** مأمور به: وهو ما كان على نحو قولِ الله تعالى: **{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**. (الأنعام: ٥١)، وقولِه تعالى: **{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**. (النحل: ٥٠)، وقولِه تعالى: **{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}**. (النور: ٣٧)، وقولِه تعالى: **{وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}**. (الذاريات: ٣٧)

فهذا النوع من الخوف مطلوب شرعا، =فهو شرعي ومطلوب شرعا= وهو عبادة لله، يعين على فعل الخير، **ويمنع** من الوقوع في الشر، =وهذا هو النوع الأول وهو الخوف الجبلي الشرعي، ومأمور به، يخاف ربه ولا يخاف غيره.=

ب- **خوف شرعيٌّ منهي عنه،** =ولو قلنا: خوف منهي عنه شرعا؛ لكان أولى=:

وهو الخوف الذي لا يجوز أن يكون إلا من الله وحده لا شريك له، ومن وقع فيه فسبب ذلك الشرك بالله عز وجل، وهو ما يقع وله تعلُّقٌ بالاعتقاد، فيكون في قلب الإنسان الخوف من أي شيء كان؛ أنه ينفع ويضرُّ من دون الله عز وجل، **فيعمل** أعمالا يتقرب بها إليه =الذي يخاف منه ويقرب له القربات= خوفا من أن يصيبه بمكروه، **وسواءً** كان المخوف منه من الإنس أو الجن أو غير ذلك من المخلوقات، فإنه من الشرك الذي حرَّم الله الجنة على أهله، قال تعالى: **{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}**. (المائدة: ٧٢)، وقال =سبحانه و= تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}**. (النساء: ٤٨)، **ونفي المغفرة** يقتضي عدم دخول الجنة، **فمن** أفرد الرب سبحانه، بالخوف في أمر النفع والضر فقد حقق التوحيد لقوله =سبحانه و= تعالى: **{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**. (آل عمران: ١٧٥)، لأنّ أمر الله =سبحانه و= تعالى لعباده بعدم الخوف من الشيطان وأوليائه، هو أمر بأحد أفراد التوحيد، وهو الخوف منه دون سواه، وهو في نفس الأمر =أمر، لكنه= نَهْيٌ عن أحد أفراد الشرك، كالخوف من الشيطان وأوليائه، وقوله تعالى: **{فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**. (آل عمران: ١٧٥)

هذا دليل على أن الخوف عبادة يجب أن يوحد الله =سبحانه و= تعالى بها، =الخوف الجبلي لا نتكلم عنه، ولكنَّ الخوف المنهي عنه شرعا، هذا هو المحظور والذي لا يجوز، لما ورد= عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ: **"يَا غُلَامُ! إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي**

الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يَسْرًا"). (٥٧)

ولذلك أثنى الله على بعض عباده فقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**. (المائدة: ٥٤)

ومنه ما كان على نحو قول الله =سبحانه و= تعالى: **{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**. (النور: ٥٠)، وقوله تعالى: **{كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ}**. (المدثر: ٥٣)

الرجاء:

الأصل فيه قولُ الله =سبحانه و= تعالى =في هذه الآية العظيمة=: **{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}**. (الزمر ٥٣)

وقولُه سبحانه تعالى: **{قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}**. (الحجر ٥٦)

وقول الله سبحانه تعالى =عن يعقوب عليه السلام=: **{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}**. (يوسف ٨٧)

هذا التوجيه الرباني إلى عدم القنوط واليأس من روح الله؛ =وفيه= تربية للمؤمنين على أن رحمة الله واسعة، منبها على أنّ ملازمةَ القنوطِ واليأسِ لا تكون إلا من الكافرين؛ =لأن اليأس والقنوط هذا

---

(٥٧) (ت) (٢٥١٦)، (حم) (٢٦٦٩)، (٢٨٠٤)، (ك) (٦٣٠٤)، انظر صحيح الجامع: (٢٩٦١)، (٦٨٠٦)، (٧٩٥٧)، والمشكاة: (٥٣٠٢)، انظر ظلال الجنة: (٣١٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة: (٣١٥)، والصَّحِيحَة (٢٣٨٢).

لا يكون موجودا عند المؤمن، فـ= الذين لم يعرفوا رحمةَ الله ولا فضلَه وإحسانَه، فوقعوا في هذه الصفة الذميمة، فنتج عن أمْنِهم من مكْر الله سبحانه، عدمُ خوفهم من الله عز وجل، وقد حذر الله =سبحانه= من ذلك فقال تعالى: **{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}**. (الأعراف: ٩٩)، ولا يتمُّ الخوفُ والخشيةُ إلا لمن عرف الله عز وجل، ولذلك قال =سبحانه و= تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}**. (فاطر: ٢٨)

وقد يرد سؤال بناء على هذا الترغيب من الله عز وجل في =الخوف و= الرجاء، فيقال: **أيهما أولى بالمسلم تغليبُ الخوفِ أم الرجاء؟**

والجواب: أن الإنسان =وهو أي إنسان مسلم أو مؤمن= لا يخلو من إحدى ثلاث:

١- إما أن يكون من **الصالحين المسارعين** إلى فعل الطاعات، وهو في صحة وعافية، فهذا يتساوى في حقِّه الخوفُ والرجاء، فلا ينفصلُ أحدهما عن الآخر، فالرجاء في حقه قائم باعتباره صاحب طاعة، وعمل صالح، وهو من أهل السلامة والعافية.

وكذلك الخوف قائم باعتبار الحذر من سوء العاقبة، أو الخاتمة.

=إذن هذا هو الأول على المؤمنين والصالحين المسارعين في الخيرات، والمسارعين في فعل الطاعات، وهذه إحدى الحالات، فهذا يستلزم أن يكون الخوف والرجاء فيه تساوي.=

٢- وإما أن يكون العكس، **قلة الطاعة، وضعف المبادرة** إلى الخيرات =والحسنات=، فهذا يغلِّب جانب الخوف، فيجب أن يخافَ أن يدركَه الأجلُ وهو على حال تؤول به إلى سوء الخاتمة، وتغليبُ الخوف يجعله يترك العصيان، ويبادر بالتوبة، وإن كان الرجاء قائم في حقِّه لكنّه أضعف من الخوف، =فقلة الطاعة تحتاج إلى تغليب الخوف مع وجود الرجاء.=

٣- وإما أن يكون في حال **صحة متردية، وضعف مستمر**، فيجب عليه أن يغلّبَ الرجاء، وإن كان الخوف في حقه قائما لكنه =ضعيف و= أضعف من الرجاء، لما ورد عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ

النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: **"لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ"**. ([٥٨])، =فيغلب جانب الرجاء لأن عنده ضعف كبير وصحة متردية، فلذلك يغلب جانب الرجاء.

فلذلك الذي يأتيك وهو يبكي من المعصية، لا تعطِه خوفا فوق خوفه، أعطِه الرجاء، والذي يأتيك بالمعصية وهو يضحك؛ فأعطه ما يغلِّب جانب الخوف، وقلل جانب الرجاء عنده، فإن جاءك والأمران مستويَان عنده، فاجعل هذا مساوٍ هذا.

ولهذا لابد أن تكون هناك حكمة عند الدعاة يجعلونها في مثل هذه الأمور، ويكون فقيها في دعوته، لا يأتي للذي يبكي فيزيده بكاء وحسرة وندما، وربما ينفلت العقد فيترك العبادة والطاعة فييأس من النجاة ومن رحمة الله سبحانه، فيترك الصلاة وما شابه ذلك، لأنه ييأس مما عند الله سبحانه وتعالى، من يأَّسه؟ ذاك الداعي إلى الله عز وجل غير حكمة، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**، ...». ([٥٩])=

وَعَدِّ فِي سُفْنِ النَّجَا إِلَى الْفَضَاءِ الأَوْسَعِ:

=**وَعُدَّ** بضم العين وتشديد الدال المهملة المفتوحة؛ أي أَعِدّ العُدَّة وائت بها واستعد، ضاعف الأعمال الصالحة حتى تكون في سفينة النجاة لتنجوَ بها إلى الشاطئ الآخر، وهو يوم القيامة.

وَعَدِّ بفتح العين المهملة وتشديد الدال المهملة المكسورة؛ يعني اركب والحق نفسك في سفينة النجاة هذه.

وعُدْ بدون تشديد فعل أمر من العودة؛ أي أرجع، عدِّ اركب، وعُدْ أي ارجع، وَعُدَّ أي اتخذ العدة على كل الحالات هنا تصح، لكن الشيخ الشارح حفظه الله هنا قال:=

([٥٨]) (م) ٨١- (٢٨٧٧).

([٥٩]) (خ) (٧٠٢)، (م) ١٨٢- (٤٦٦).

أي: ادخل واركب مطيَّةً تنجيك من الهلاك، وقد شبَّه الناظم رحمه الله الطاعات فرضا ونفلا، شبّهها بالسفن التي تعبر بمن امتطاها الأنهارَ والبحارَ والمحيطات.

وقد أوردَها الناظم بلفظ الجمع دون المفرد؛ =فما قال: سفينة النجاة، **لماذا؟**

أولا: للنظم الشعري، وثانيا:= إيماءً إلى أنَّ كلَّ طاعةٍ يجريها العبد =تعتبر سفينة ما دام= قاصدا بها وجهَ الله عز وجل، فهي سفينةُ نجاةٍ في حدِّ ذاتها، لكنَّها لا تغني عن المجموع المطلوب منها قدر الوسع والطاقة.

فهي في الحقيقة سفُنٌ في سفينة واحدة؛ هي العمل بالكتاب والسنة، ولا تكون الطاعات منجية إلا إذا كانت مبنية على عقيدة صحيحة، بهذا يصل المسلم إلى الفضاء الأوسع، =والمقصود بهذا الفضاء الأوسع؛ الجنة،= وهو الدار الآخرة، والمرادُ الجنةُ وما فيها من الرحابةِ والسعة، والنعيمِ صفة لها، ولا يقال ذلك للنار، =فما يصح أن يقال عن النار؛ الفضاء الأوسع= أجارنا الله =وإياكم وسائر المسلمين= منها؛ لأنها موصوفة بدار الجحيم والعذاب الأليم، وذلك من الضيق وليس من السعة في شيء.

***

المبحث الثالث: الترغيب في الطاعات

٧- عَلَيْكَ بِالتَّهَجُّدِ وَقُمْ طَوِيلا وَاسْجُدِ ... وَبِتْ نَدِيمَ الْفَرْقَدِ وَاشْرَبْ كُئُوسَ الأَدْمُعِ

عَلَيْكَ بِالتَّهَجُّدِ وَقُمْ طَوِيلا وَاسْجُدِ...

وهذا توكيد لما ذكر في البيت السابق، من الإرشادات إلى ملازمة الطاعات فرضا ونفلا، على نحو ما أوضحنا.

والتهجُّدُ: هو من الأضداد، فما معنى الأضداد؟ ضاد ودالين ببينهما ألف، الأضداد المتناقضات المتعاكسات، يعني تأتي =بكلمة واحدة= بالمعنى وضدّه، لذلك قال هنا بأن التهجد= يطلق على السهر و =والتهجد يطلق على= النوم، =وتقول هذا تهجَّد ليلَه، أي سهر طول ليله، أو طول ليله نائم فيجوز فيها الأمران،= لكن **التهجد** إذا أطلق فالمراد به قيام الليل، والمتهجدون المصلون بالليل. (٦٠)

وقد ندب الناظم رحمه الله إلى **الطول في القيام والسجود**، وعنى بطول القيام طول القراءة، وبطول السجود =يعني بذلك= طول التسبيح والدعاء، وهذا عمل حسن، فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه غيرُ واجب =على هذه الأمة=، والاقتصار على المستطاع هو الكمال، =أن تفعل الذي يستطيعه هذا هو الكمال،= ومن خفَّف فلا بأس، ومن أعظم ما يحصل لصاحب هذا العمل أن صلاته مشهودة =من الملائكة وهم= من ملائكة الرحمة، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم: ("**مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ**")، وفي رواية: ("**مَحْضُورَةٌ**") ("**وَهِيَ أَفْضَلُ**"). (٦١)

وما ورد من أن في الليل ساعة لا يوافقها مسلم إلا أعطي ما سأل، =فقد ثبت= عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**"). (٦٢)، =وهذا والله حديث عظيم.=

ولا ريب أن هذه الساعة هي وقت التنزل الإلهي =فقد ورد= عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ("**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ**

---

(٦٠) انظر (النهاية ٥/ ٤٤).

(٦١) (م) ١٦٢- (٧٥٥)، (ت) (٤٥٥)، (جة) (١١٨٧)، (حم) (١٤٤٢١).

(٦٢) (م) ١٦٦- (٧٥٧)، (حم) (١٤٣٩٤).

يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ! مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ! مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ!"). ([٦٣])، =سبحانه.=

... وَبِتْ نَدِيمَ الْفَرْقَدِ وَاشْرَبْ كُئُوسَ الأَدْمُعِ:

النديم؛ من المنادمة ومعناها الصاحب والرفيق، وأكثر المنادمة تكون على الشراب،= [مِنْ نَادَمَهُ على الشَّرَابِ]. ([٦٤])، وصاحبه عليه.

و[**الفَرْقدانِ**: نجمان قريبان من القطب]. ([٦٥])، والفرقد [النَّجْمُ الّذي يُهْتَدَى بِهِ]. ([٦٦])

والكؤوس جمع كأس، [قال ابن الأعرابي =وهو من أهل اللغة=: لا تسمَّى الكأس كأسًا إلا وفيها الشراب]. ([٦٧])، =أي أن الكأس تكون مليئة بالشراب، وإن كانت فارغة تسمى كوبا.=

والمعنى؛ إن كان بعضهم يسهر مع رفقائه ليشاركهم الشراب والمنادمة؛ =لأن بعض الناس يكون سهرانَ ويتسامر مع إخوانه على الحرام، نسأل الله السلامة=، فكن أنت من الذين يسهرون مع نجوم الليل وكواكبها قائمين لله ركَّعا وسجّدًا وبُكِيًّا، مستبدلين كؤس الشراب بالدموع خشيةً لله =سبحانه وتعالى.=

... وَبِتْ نَدِيمَ الْفَرْقَدِ وَاشْرَبْ كُئُوسَ الأَدْمُعِ:

=وهذا= توجيه من الناظم رحمه الله إلى أن يكون المسلم حريصا على الطاعات، كثير الخشية من الله عز وجل، =فإذا كان الخوف عامًّا=، فالخشيةُ أخصُّ من الخوف، وهي جالبة لدمع العين، ومن دمعت عينُه من خشية الله حماها الله من النار، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

([٦٣]) (خ) (١١٤٥)، (م) ١٦٨- (٧٥٨).
([٦٤]) تاج العروس (٣٣/ ٤٨٥).
([٦٥]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥١٩).
([٦٦]) تاج العروس (٨/ ٤٩١).
([٦٧]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ٩٦٩).

صلى الله عليه وسلم: ("**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**"). ([٦٨])

***

المبحث الرابع: الحث على التمسك بالكتاب والسنة

٨- قِفْ عِنْدَ حُكْمِ الْمُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ مَا تَحَرُّفِ .. وَلا تَخُضْ وَقَعْتَ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ

قِفْ عِنْدَ حُكْمِ الْمُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ مَا تَحَرُّفِ:

=أي كن وقَّافا عند حدود الله، كما بين في كتابه، وكما وضَّحَ رسوله صلى الله عليه وسلم، في العقائد والعبادات، والمعاملات والسلوكيات، من غير تبديل أو تأويل، أو تحريف أو تعطيل، أو ابتداع أو اختراع، وإلا وقعت في مناهج أهل البدع.=

فهذا البيت فيه توجيهٌ عامٌّ إلى التزام نهج الكتاب والسنة، **ونهيٌ** عن مجاوزة ذلك؛ **لأن** من جاوز ذلك فقد اتبع الرأي، ومن اتبع الرأي وقع في الهوى، وذلك يفضي به إلى الابتداع، أو الاقتداء بمن سبقه من أهل البدع والأهواء، ويكون ممن قال فيهم الله تعالى: **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}**. (الكهف: ١٠٣- ١٠٤)

قف عند حكم المصحف من غير ما تحرف:

ونبَّه الناظم رحمه الله إلى الوقوف عند كلام الله عز وجل، والذي عبّر عنه بالمصحف، وهو الكلام المتلوُّ من المصحف الذي حواه، وجُمِع فيه، من فعل أبي بكر، ثم عثمان، رضي الله عنهما، واشتهرت التسمية بالمصحف من فعل عثمان رضي الله عنه؛ إذ جمع ما كان من القرآن في اللِّخَاف =هِيَ جَمْع

([٦٨]) (ت) (١٦٣٩)، (ك) (٢٤٣١)، (يع) (٤٣٤٦)، صَحِيح الْجَامِع: (٤١١٣)، صَحِيح التَّرْغِيبِ (٣٣٢٢).

لَخْفَة، وَهِيَ حِجارةٌ بِيضٌ رِقاق ([٦٩]) يكتب عليها= والعُسُب، =جمع عَسِيب؛ (جَرِيدةٌ من النَّخْل مُسْتَقِيمَةٌ دَقِيقَةٌ يُكْشَطُ خُوصُها) ويكتب عليه= والرقاع، =الجلود=، وصدور الرجال، وجعله في كتاب واحد سماه المصحف، بعث منه إلى كلِّ مصرٍ بنسخة، =ومصرٌ هنا منونة رغم أنها ممنوعة من الصرف لأنها منطقة، فليست مصر البلد المعروفة،= وإنما المقصود فيها فحفظ الله بهذا العمل كلامه العزيز، كما قال =سبحانه و= تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**. (الحجر: ٩)

وقول الناظم هذا هو عملٌ بقول الله عز وجل: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}**. (آل عمران: ١٠٣)، وقوله تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**. (النساء: ٦٥)

ولم يصرّح الناظم بالوقوف عند القول من السنة الصحيحة؛ =عليك بالمصحف والسنة الصحيحة، ما ذكر السنة الصحيحة، **لماذا؟**= لأن ذلك داخل في الوقوف عند قول المصحف، وهو قولُ الله =سبحانه و= تعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**. (الحشر: ٧)، وقولُه تعالى: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**. (النور: ٦٣)، وقولُه تعالى: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}**. (الأحزاب: ٣٦)، وقولُه تعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**. (آل عمران: ٣١)، =إذن لم يذكر السنة؛ لأنها داخلة في قول الله عز وجل.=

والوقوف عند قول المصحف؛ معناه التدبُّر والفهم لمقصود الرب سبحانه وتعالى، عملا بقولِه تعالى: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**. (محمد: ٢٤)

ويجب أن يكون هذا التدبُّر بفهم صحيح في إطار صحيح، بعيدًا عن **الغلوّ** الذي هو **الإفراط،** وعن التساهل الذي هو **التفريط،** والحرص على ما بينهما وهو التوسط؛ **منهج الإسلام،** قال الله

([٦٩]) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٤٤).

تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**. (البقرة: ١٤٣)، شهداء على الناس؛ =أي أناس؟= الذين أفرطوا، والذين فرّطوا، ويشهد الرسول صلى الله عليه وسلم على وسطية هذه الأمّة، فلا تحريف ولا تبديل في الإسلام الدين الحق، ففيه الكمال والعدل والرأفة والرحمة.

وفي هذا المعنى وصيةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم، =ومنهم العرباض بن سارية، فقد ورد= عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: **(صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الصُّبْحِ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ)**، فَقُلْنَا: **(يَا رَسُولَ اللهِ! وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟!)**

قَالَ: **("أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ")**، **("وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ")**، **("وَأُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ")**، **("وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ")**، **("فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ هَيْنُونَ لَيْنُونَ")**، **("كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ؛ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ")**، **("وَإِذَا أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ")**. (٧٠)

[(... **هَيْن**) بالتخفيف من الهون: السكينة والوقار، =فالمؤمنون أصحاب سكينة ووقار.=

(٧٠) من مجموع روايات =بزيادات= عند: (ت) (٢٦٧٦)، (د) (٤٦٠٧)، (جة) (٤٢)، (٤٣)، (٤٤)، (حم) (١٧١٨٢)، (ك) (٣٢٩)، العقيلي في الضعفاء (٢١٤)، انظر الصحيحة (٩٣٦)، (٩٣٧)، صَحِيح الْجَامِع (٢٥٤٩)، (٤٣١٤)، صَحِيح التَّرْغِيبِ (٥٩).

(**لَيْن**) بزنته، وقيل: يجري التشديد ... من اللين، وهو ضد الخشونة]. ([٧١]) =فعلى هذه وهذه جائز الوصف للمؤمنين، بالهينين واللينين.

وكلمة= [(**كالجمل الأَنِف**) بفتح الهمزة وكسر النون، أي المأنوف: وهو الذي عقَر الخِشاشُ ([٧٢]) أنفَه فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به ...]. ([٧٣])، =وضع في أنفه خزامة من حديد ونحوه، فيصبح طائعا ولو كان من أشرس الجمال، لأن هذه تحكمه، والله أعلم.=

وهذا هو العمل بالكتاب والسنة، ومن زعم غير ذلك فقد ركب مركبا صعبا من الزلل والمهالك، وهذا ما عناه الناظم رحمه الله بقوله:

... وَلا تَخُضْ وَقَعْتَ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ:

=ولا تخض هنا نهي، ومعناه إن خضت وقعت،= وهو تحذير من الناظم رحمه الله تعالى؛ لأنَّ ذلك يفضي إلى الهلاك، كما قال =سبحانه و= تعالى حكاية عن الذين يطلقون ألسنتهم بكلِّ قولٍ من غيرِ وعيٍ لخطورة ما يقولون: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}**. (التوبة: ٦٥)، وقوله تعالى: **{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}**. (المدثر: ٤٥)، والخطر في الحقيقة ليس محدقًا بهؤلاء فحسب، بل ينال الذين يجلسون معهم، ويسمعون كلامهم، ولا ينكرون عليهم، فإنهم مثلهم في الإثم والعقوبة، كما قال الله تعالى: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ}** =أي إذا جلستم معهم ولم تعترضوا عليهم، فإنكم مثلهم= **{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}**. (النساء: ١٤٠)

([٧١]) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٤٥٦).

([٧٢]) **[الخِشاشُ بالكسر**: الذي يُدخَل في عظم أنف البعير. وهو من خشب]، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٠٠٤).

([٧٣]) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٤٦٠).

والخوضُ يشملُ هذا وغيرَه من محاولة التفلسف، والتزام الجدل لردِّ ما هو حقٌّ بالنصِّ من الكتاب أو السنة أو منهما معا، أو تأويل الشيء على غير وجهه مع الزعم بأن هذا مراد الله ورسوله، أو مما يقال في المجالس لإضحاك الناس؛ =لأن هناك بعض الأشياء يريد أن يتكلم فيها فقط لإضحاك الناس وهي كذب،= وهو من سخط الله =سبحانه وتعالى، وسخط= رسوله =صلى الله عليه وسلم،= ولذلك حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصاد الألسنة =أو الألسن= كما ورد في الحديث عند =الترمذي والإمام أحمد والطبراني=؛ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: **(كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ)، (فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا)**، قُلْتُ: **(يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّار)**، قَالَ: **("لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْه؛ تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ")**، ثُمَّ قَالَ:

("أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟! الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ")، ثُمَّ قَرَأَ:

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. (السجدة: ١٦- ١٧)

ثُمَّ قَالَ: **("أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟")** قُلْتُ: **(بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!)** قَالَ: **("رَأسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ")**، =يعني التوحيد والإيمان= **("وَعَمُودُهُ الصَلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ")**، ثُمَّ قَالَ:

("أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟") قُلْتُ: **(بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!)** فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ:

("كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا") فَقُلْتُ: **(يَا رَسُولَ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟!)** فَقَالَ:

("ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟!")
("إِنَّكَ لَنْ تَزَالَ سَالِمًا مَا سَكَتَّ، فَإِذَا تَكَلَّمَتَ، كُتِبَ عَلَيْكَ، أَوْ لَكَ"). (٧٤)

فالخوضُ شاملٌ لكلِّ مفسدة، فلنطهِّر ألسنتَنا من هذا الدّاء الوبيل، =وأيضا نطهر أصابعنا على الفسبكة وما شابه ذلك من هذا الوباء الوبيل.=

****

المبحث الخامس: صفة كلام الباري جل جلاله

٩- فَإِنَّهُ كَلامُهُ أَعْيَا الْوَرَى نِظَامُهُ ... وَبَهَرَتْ أَحْكَامُهُ الْغُرُّ جَمِيعَ الشِّيَعِ

فَإِنَّهُ كَلامُهُ، أَعْيَا الْوَرَى نِظَامُهُ ...:

أورد الناظم رحمه الله هذا البيت لوصف القرآن الكريم كلامِ الربِّ =العظيم= سبحانه وتعالى، وما فيه من كمال الأسلوب، وعدالة المنهج والحكم، فهو أعدل الكلام وأصدقه، وأجمله وأبلغه وأحلاه، بهر أرباب الفصاحة، ومُلّاك البلاغة، **{لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}**. (فصلت: ٤٢)

[فكتاب الله =سبحانه و= تعالى هو الجامع لجميع أصناف المعلومات، وهو المحتوي على جميع =الحقائق= حقائق التشريعات، ففيه نبأُ مَن قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحُكْم ما بيننا، هو الفصلُ ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعّب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملّه الأتقياء، ولا يخلُقُ على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: **{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}**. (الجنّ: ١)، من عَلِمَ علمَهُ

(٧٤) (ت) (٢٦١٦)، (جة) (٣٩٧٣)، (ن) (١١٣٩٤)، (حم) (٢٢١٢١)، وقال الأرناؤوط: صحيح بطرقه وشواهده، (طب) (ج٢٠/ص٧٣) ح (١٣٧)، صَحِيح الْجَامِع (٥١٣٦)، والصَّحِيحَة تحت حديث (١١٢٢)، وصَحِيحِ التَّرْغِيبِ (٢٨٦٦).

سَبَق، ومن قال به صَدَق، ومن حَكَمَ به عَدَل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم]. ([٧٥])، =وهذا ورد حديثا لكنه ضعيف، حديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمعنى صحيح.=

فَإِنَّهُ كَلامُهُ أَعْيَا الْوَرَى نِظَامُهُ:

أي القرآن الكريم، هو كلام الله عز وجل منزَّلٌ غيرُ مخلوق، ومن زعم أنه مخلوق فقد وقع في الضلال، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، =أنه كلام الله صفة من صفاته غير مخلوق،= فالله عز وجل يتكلَّم، ويقول، ويتحدث، وينادي، كلامُه بصوتٍ وحرف، **والقرآن** كلامُه، مُنَزَّلٌ غير مخلوق.

وكلام الله صفة ذاتية فعلية: **ذاتية** باعتبار الأصل، =أنه متكلم سبحانه وتعالى،= **وفعلية** باعتبار الآحاد، =يتكلم متى شاء كيف شاء، إذا شاء سبحانه وتعالى،= ومردُّ هذا القول عند أهل السنة والجماعة هو كتاب الله =وكما= يقول الله =سبحانه و= تعالى.

=فأين الدليل على تكليم الله عز وجل وكلامه؟ الدليل في قوله سبحانه:= **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**. (النساء: ١٦٤)

=وأين دليل المناداة؟

وردت في= قولِه تعالى: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}**. (القصص: ٣٠)

=ودليل الكلمات؛ كلمات الله التي لا تحصى ولا تُعدُّ، بل هي كلمات متجددة، قولُه سبحانه و= تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا**

([٧٥]) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٥/ ٢٦٣)، وقال: [أخرجه الترمذي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً، لكنه ضعيف بسبب الحارث الأعور، ولذا لم أورده على أنه حديث مرفوع، وإنما هو كلام حق، وَوَصْفٌ مطابق للقرآن. فتنبّه].

بِمِثْلِهِ مَدَدًا}. (الكهف: ١٠٩)، وقولُه: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}**. (التوبة: ٦)

=وأما دليل التحديث والحديث فهو= قولُه تعالى: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}**. (النساء: ٨٧)

وما ورد في المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام، =في حديث طويل، وهو حديث صحيح، فقد= ثبت في الصحيح؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى**، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: **أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ**". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**» مَرَّتَيْنِ. (٧٦)

وما ورد في حديث =طويل أيضا، يثبت فيه القول، وهو حديث= أبي سعيد =رضي الله عنه= قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ("**يَقُولُ اللَّهُ**"): =وهنا يثبت القول لله عز وجل، بعد أن أثبت الحديث والمناداة الآن يثبت القول،= ("**يَا آدَمُ**، فَيَقُولُ: **لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ**، قَالَ: يَقُولُ: **أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ**")، =يعني أخرج بعثا من النار، بعثة والعياذ بالله إلى النار وجهنم= ("قَالَ: **وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟! قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**")، =يعني كم واحد إلى الجنة؟ واحد فقط من ألف، فاللهم ارحمنا يارب= ("**فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}**") فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ =أي على الصحابة رضي الله عنهم=، فَقَالُوا: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟!**) =من يكون منا ذاك الرجل الناجي؟= قَالَ: («**أَبْشِرُوا! فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ**»)، ثُمَّ قَالَ: («**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**»). قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: («**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ**

---

(٧٦) (خ) (٣٤٠٩).

الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الحِمَارِ»). ([٧٧])، =يعني أنكم أنتم شيء بسيط من الأمم، الأمة كبيرة جدًّا.=

وما ورد في الصحيحين ([٧٨]) من قول عائشة رضي الله عنها في شأن الإفك: (**لَشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى**)، =وهذا من تواضع عائشة رضي الله تعالى عنها، فأثبتت الكلام لله سبحانه وتعالى،= ومثل هذا كثير.

... وَبَهَرَتْ أَحْكَامُهُ الْغُرُّ جَمِيعَ الشِّيَعِ:

=الغُرُّ صفةٌ للأحكام، ولا تقُل الغرَّ على أنها مفعول به، لا يصح، بل لابد أن تكون الغرُّ، الظاهرة الواضحة، ف= أشار الناظم رحمه الله إلى ما فيه من الإعجاز، وأنه لا يجارى، وقد تحدَّى به الربُّ سبحانه وتعالى أرباب الفصاحة والبلاغة من العرب، الذين سبقوا كلَّ الأمم في ميدان الإعجاز اللغوي والبلاغي، أنزله الله =سبحانه و= تعالى بلسانهم وبالأحرف التي يتكون منها كلامهم، وغاية ما قالوا فيه إنه مفترى، =فما استطاعوا أن يطعنوا في البلاغة،= فقال تعالى متحديا لهم: **{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**. (هود: ١٣)

فالقرآن مجموع سوره (١١٤) مائة وأربع عشرة سورة، تحداهم رب العزة والجلال، هم وكلّ من يقدر على معاونتهم على أن يأتوا بعشر سور يفترونها من عند أنفسهم، شريطة أن تماثل القرآن في إحكامه وإعجازه، وأنى لهم ذلك، فقال تعالى لهم زيادة في التحدّي، وقد عجزوا عن الإتيان بعشر سور مفتريات: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**. (البقرة: ٢٣)

([٧٧]) (خ) (٦٥٣٠).

([٧٨]) (خ) (٤١٤١)، (م) ٥٦- (٢٧٧٠).

فثبَتَ عجزهم هم ومن استطاعوا الاستعانة بهم، وكذلك شهداؤهم، فعجزوا جميعا عن إتيانهم بسورة واحدة يفترونها، وتماثل أقل سور القرآن، **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}**، بل هم عاجزون عن محاكاة بعض آية واحدة منه كقوله تعالى: **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}**. (البقرة: ١٧٩)

=فهل يستطيعون أن يأتوا بمثلها؟ هذه الكلمات الأربعة في الآية، جملة كاملة لكنها معجزة لكن لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها.=

وإذا ثبت عجزهم عن أقلِّ القليل فهم عن المثلِ أعجز وأقعد، ولذلك قال =سبحانه و= تعالى: **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}**. (الإسراء: ٨٨)

أعْيَى الورى، وبَهَرَ كلَّ الشيَع؛ لأنه صادرٌ عن الخالق سبحانه وتعالى، ومتسحيل أن يصدر عن المخلوق ما يماثله، أو =ما= يحاكيه.

١٠- مِنْهُ كَمَا جَاءَ بَدَا فَكُنْ بِهِ مُعْتَضِدَا ... وَلا تُجَادِلْ أَحَدًا فِي آيَةٍ وَارْتَدِعِ

مِنْهُ كَمَا جَاءَ بَدَا، فَكُنْ بِهِ مُعْتَضِدَا...

وهذا توكيد لما تقدم من القول في كلام الله عز وجل، مِن الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأَ، وإليه يعود، وأَن الله تكلم به حقيقة، وأَن هذا القرآن الذي أَنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيرِه، ولا يجوز =كما تقول بعض الطوائف= إطلاق القَول بأَنه حكاية عن كلام الله، أَو عبارة عنه، بل إذا قَرأَه الناس أَو كتبوه في المصاحف؛ لَم يخرج بذلك عن أَن يكون كلام الله =سبحانه و= تعالى حقيقَة، فَإِن الكلام إنما يضاف حقيقة إِلى من قَاله مبتدِئا، لا إلى من قَاله مبلِّغاً مؤدِّيا، وهو كلام الله، حروفه، ومعانيه، ولَيس كلام الله الْحروف دون المعاني، ولا المعانِي دون الحروف، ولذلك وجب الاعتصام به، قال الله =سبحانه و= تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}**. (آل عمران: ١٠٣)

... وَلا تُجَادِلْ أَحَدًا، فِي آيَةٍ وَارْتَدِعِ:

=في آية وارتدع، في آيِهِ وارتدع، كلاهما صحيحتان، في آيهِ؛ أي في آيِ القرآن، أو في آيةٍ؛ أي آية واحدة، لا تجادل في آيةٍ من آياته والكل صحيح إن شاء الله.=

هذا توجيه إلى أن ما مضى من القول يقتضي التسليم المطلق لكلام الله عز وجل، جملة وتفصيلا، وأنه لا مجال للمراء =والجدال= في شيء منه ولو آية واحدة، ومن فعل ذلك فقد خالف نهج أهل السنة والجماعة.

****

المبحث السادس: القول في الأسماء والصفات

١١- وَلا تُؤَوِّلْ مَا وَرَدْ للهِ مِنْ سَمْعٍ وَيَدْ ... وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدْ قَوْلَ امْرِئٍ مُتَّبِعِ

=فأسماء الله وصفاته مذكورة في كتابه، ومذكورة فيما ثبت في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.=

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى أن لله عز وجل أسماء وصفات، تليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه، وهو القائل: **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**. (الأعراف: ١٨)، وقال تعالى: **{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}**. (الإسراء: ١١٠)، وقال سبحانه: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}**. (طه: ٨)، وقال سبحانه: **{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**. (الحشر: ٢٤)

هذه الآيات =وغيرُها= تثبت أنَّ لله الأسماء الحسنى، وأن من يلحد في أسمائه تعالى =فكيف يلحد؟ يلحد= بتأويل أو تحريف أو تعطيل، أو غير ذلك مما لا يليق بالرب سبحانه وتعالى سيجزيهم الله بما كانوا يعملون، ولا ريب أن من يلحد في الأسماء يلحد في الصفات.

فكان أهل السنة والجماعة =حشرنا الله معهم في الدنيا ويوم القيامة هم= ألزم للحق وأبعد عن الباطل، ومنه الإلحاد في الأسماء والصفات، فمن أوّل أيَّ صفة من صفات الله تعالى بغير مدلولها اللغوي، فقد ألحد، وقال إما **بالتجسيم**، أو **بالتعطيل**.

بل هي على الحقيقة اللغوية، وعلى ما يليق بجلال الله تعالى وكماله، **إثباتٌ** بغير تمثيل، **وتنزيهٌ** بدون تعطيل، ومن **أثبت بتمثيل** =يعني أثبت صفة كصفة المخلوقين،= فقد **شبه** الخالق بالمخلوق، **ومن نزه** بنفي شيء من الصفات فقد **عطل**، وجعل الرب عدما.

ومن هنا صدق من قال: (**المشبهة**) =أولئك الذين يشبهون الله بخلقه= (**يعبدون صنما، والمعطلة يعبدون عدما**)، فالقاعدة التي بنى عليها أهل السنة والجماعة القول في الأسماء والصفات قوله =سبحانه و= تعالى في كتابه العزيز: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)

فالموصوف =فما إعرابها؟ هذا مبتدأ، فأين الخبر؟ نكمل= بهذه الصفات، والنعوت، والأفعال، والعلوّ، والعظمة، والحفظ، والعزّة، والحكمة، والملك، والحمدِ، والمغفرة، والرحمة، والكلام، والمشيئة، والولاية، وإحياء الموتى، والقدرة التامّةِ الشاملة، والحُكم بين عباده، وكونُه فاطر السموات والأرض، وهو السميع البصير، وغيرِ ذلك من الصفات المعلومة في الكتاب والسنة، الموصوف بها جميعا هو =فهو هي هنا الخبر، الجملة بأكملها خبرا، جملة هو الموصوف بها جميعا، هو= الذي ليس كمثله شيء، =حوالي ثلاثة أسطر ثم جاء بالخبر، فلماذا ليس كمثله شيء؟ قال:= لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله، وثبوتها له على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء، وهو الله عز وجل وحده لا شريك له.

فإن منهج أهل السنة والجماعة؛ الإيمانُ بِما وصف الله بِهِ نفسه في كتابِه العزِيزِ، وبِما وصفه بِه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غيرِ **تحرِيف** ولا تعطِيل، ومِن غيرِ **تكيِيف** ولا تمثِيل، ولا ينفون عنه ما وصف بِه نفسه، ولا يحرِفون الكلِم عن مواضعه، ولاَ يلحدون في أَسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بِصفات خلقه؛ لأنّه سبحانه: لا سَمِيَّ له، ولا كفءَ له، ولا نِدَّ له، ولا يقاس بِخلقه

سبحانه وتعالى، وكلّ ما ورد الأسماء والصفات هو على الحقيقة، وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، ومبنى ذلك: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)، وسُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}**، وهذا هو الاتباع، وما سواه ابتداع.

١٢- وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلّ كَلَّمَ مُوسَى ذَا الْوَجَلْ ... لَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلْ جَهْرًا كَلامًا مُسْمِعِ

=مسمِع، كلام يُسمعُ فيه غيرَه، والميم بكسرها، ومسمَع بفتحها يعني مسموعا، ومسمِع يعني يسمع غيره.=

هذا توكيد من الناظم رحمه الله لما أورد في البيت التاسع =وقد تحدثنا عنه سابقا= وهو المبحث الخامس، صفة الكلام، وقد تمّ الكلام عليه، ومنه:

إن الله عز وجل يتكلم، ويقول، ويتحدث، وينادي، كلامُه بصوت وحرف، والقرآنُ كلامه، مُنَزَّل غير مخلوق، وكلامُ الله صفةٌ ذاتيَّةٌ فعليَّة: **ذاتية** باعتبار الأصل، **وفعلية** باعتبار الآحاد، =أي تخرج آيات وأحاديث منفصلة حسب المناسبة؛ كما شاء، كيف شاء، وإذا شاء.=

ومردُّ هذا القول عند أهل السنة والجماعة هو كتاب الله، =فالدليل على كلامه سبحانه وتكليمه قوله= تعالى: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**. (النساء: ١٦٤)، وقوله تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}** (الكهف: ١٠٩)، وقوله: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}**. (التوبة: ٦)

=والدليل على ندائه سبحانه هو= قولُه تعالى: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}**. (القصص: ٣٠)، **{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}**. (مريم: ٥٢)، **{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**. (الشعراء: ١٠)

=والدليل على حديثه سبحانه وتحديثه= قوله تعالى: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}**. (النساء: ٨٧)، **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}**. (الكهف: ٦)، **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}**. (الزمر: ٢٣)

=والدليل على قوله سبحانه=: **{وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}**. (النحل: ٥١) في أكثر من آية. **{فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ}**. (الصافات: ٣١)

والكلام صفة من صفات الله عز وجل على الحقيقة، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، وليس من إضافة المخلوق إلى الخالق، ومن زعم ذلك فقد وقع في بدعة عظيمة، تفضي به إلى القول **بخلق القرآن**.

والقرآن كلام الله تعالى، وهو صفته وصفاتُ الله عز وجل ليست مخلوقةً، وليست إضافةُ الكلام إليه تعالى إضافةَ وصف، بل إضافة صفة على الحقيقة، ومن زعم غير هذا فقد وقع في بدعة عظيمة، وهي القول بالحلول ووحدة الوجود.

وقد سدّد الله تعالى في الأمرين أهلَ السنة والجماعة، =في أمر الإثبات لله، والنفي عن الله سبحانه وتعالى=، فقالوا بقول الله تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** =وهذه نفي= **{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)، =وهذه إثبات.=

وأثبتوا لله تعالى الأسماء والصفات على الحقيقة، وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، بلا كيف ولا تمثيل.

١٣- أَصْغَى إِلَيْهِ فَوَعَى بِأُذْنِهِ مَا سَمِعَا ... ثُمَّ أَجَابَ مُسْرِعًا جَوَابَ ثَبْتٍ أَرْوَعِ (٧٩)

= أَصْغَى إِلَيْهِ وهو موسى عليه الصلاة والسلام.=

---

(٧٩) أي: ملهم. (النهاية ٢/ ٢٧٧).

مراد الناظم من هذا القول؛ أن الله تعالى كلّم موسى بصوت مسموع، سمعه موسى عليه السلام، بأذنه، =فهل سمع مع موسى غيرُه؟ أحدٌ حوله من زوجة أو غيرها؟ لا أحد، لا جن ولا إنس ولا غيرهم، ما أحد سمع، موسى فقط عليه السلام سمع قول الله عز وجل؛ لأن هذه الميزة خاصة بموسى عليه السلام، وهي الكلام، **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**. (النساء: ١٦٤)، وهذا لو حدث أن كان أحد غيره معه لانتفت هذه الميزة عن موسى عليه السلام، فلم يسمع معه أحد.

وكلام الله أيضا مع محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج عند انقطاع جبريل عنه، توقف جبريل عنه واستمر محمد صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى، وكلمه ربه بدون حجاب، والله أعلم.=

ووعى كلامَ ربه عزّ وجلّ، ونتيجةً لذلك أجاب دون تردُّد في أنَّ مَن كلَّمه هو ربُّه سبحانه وتعالى، وأسرعَ في تنفيذ ما كُلِّف به من رسالةٍ إلى فرعون وقومه.

=فكلمة أروع، الواردة في قوله: (ثبت أروع) معناها مُلْهَم متثبِّت، وملهم؛ الله ألهمه بالرسالة، وألهمه أن ما يسمعه كلام الله.=

****

المبحث السابع: الاستواء على العرش

=وبسبب موقف التبريزيّ رحمه الله في أمر استواء الله تعالى على عرشه، جعلتهم يمنعونه منه القضاء على بلاد الشام، قال رحمه الله:=

١٤- وَلا تُوَافِقْ مَنْ غَوَى وَقُلْ بِأَنَّ ذَا الْقُوَى ... حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا أَرَادَ فَاسْمَعِ

يشير الناظم رحمه الله في هذا البيت إلى أنَّ غير أهلِ السنةِ والجماعة قد ضلّ في تفسير معنى الاستواء على العرش، =نسأل الله السلامة=، وتأوَّلوا الآيةَ الكريمة على معنىً يخالف ما هو الصحيح،

ويلزمهم كما أثبتوا لله السمع والبصر، أن يقولوا في صفات الله الأخر؛ أنها على الحقيقة، =إذا أثبتوا السمع والبصر لله سبحانه وتعالى، فلماذا تركوا الأخرى؟ أثبِتوها،= وعلى ما يليق بجلال الله تعالى وكماله، فليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه استوى على العرش، =وقد= ورد ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله العزيز، =وكلها تثبت الاستواء لله سبحانه وتعالى، و= منها قولُه تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}**. (الأعراف: ٥٤)، وقولُه تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}**. (يونس: ٣)، وقولُه تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}**. (الرعد: ٢)، وقولُه تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ **اسْتَوَى**}. (طه: ٥)، =فكل هذه الآيات دلت على استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه.

و= **كلٌّ** هذا عند أهل السنة والجماعة معناه الاستواء الحقيقي، على قاعدة: الاستواء معلوم والكيف مجهول؛ =والسؤال عنه بدعة، أي عن كيفية الاستواء؛= لأن الله تعالى قال عن نفسه: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)

هذا منهج أهل السنة والجماعة، =من= أن معاني صفات الله عز وجل الثابتة بالكتاب أو السنة، أو بهما، هي على الحقيقة، لا مجاز فيها ولا يجوز تأويلها، فألفاظها معلومة المعاني، وحقيقتها مجهولة الكيف. (٨٠)

****

(٨٠) انظر (الاعتقاد للبيهقي: ٤١- ٤٥).

المبحث الثامن: إثباتُ العلوِّ والمعية

=فلم يكتف الناظم بإثبات الاستواء على العرش ومعناه العلو، لا... فالعلوُّ له آياته الخاصة، وإثبات المعية أيضا، ولذا قال:=

١٥- وَهُوَ تَعَالَى فِي السَّمَا عَالٍ وَمَعْنَا أَيْنَمَا ... بِغَيْرِ كَيْفٍ لا كَمَا يَخْطُرُ لِلْمُبْتَدِعِ

هذا هو الحقُّ الذي جاء به كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أعلم من الله بنفسه؟! =أنت عندما تأتي وتصف الله تعالى بشيء من عندك أو يصف بنفسه، فمن أعلم من الله بنفسه؟ سبحان الله.=

ولا أحدَ أعلمُ بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله =سبحانه و= تعالى: {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ **وَرَافِعُكَ** إِلَيَّ}. (آل عمران: ٥٥)، وقال =سبحانه و= تعالى: {بَلْ **رَفَعَهُ** اللَّهُ **إِلَيْهِ**}. (النساء: ١٥٨)، وقال =سبحانه و= تعالى: {**إِلَيْهِ يَصْعَدُ** الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}. (فاطر: ١٠)، وقال سبحانه وتعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ* أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ **فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى** وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}. (غافر: ٣٦- ٣٧)، =هذه تثبت أن موسى قال لفرعون؛ أن الله في السماء، فهو من طلب من هامان أن يبني له صرحا أو مسلة أو ناطحة سحاب طويلة جدا في السماء، حتى يرى الله عز وجل، فهذا يدل على أن فرعون سمع من موسى عليه السلام من أن الله في العلوّ،= وقال =سبحانه و= تعالى: {أَأَمِنْتُمْ **مَنْ فِي السَّمَاءِ** أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ}. (الملك: ١٦- ١٧)

فهذه الآيات من كتاب الله عزّ وجّل تثبت بم لا يدع مجالا للشكِّ أن الله عزّ وجلّ عال فوق خلقه، وقد ذكر الله =سبحانه و= تعالى عن نفسه أنه استوى على العرش، وذلك في آيات من كتابه العزيز منها: قوله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى**

الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}. (الأعراف: ٥٤)

وثبت أنَّ العرشَ =محتوٍ على السماوات السبع والأرضين، **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}**. (البقرة: ٢٥٥)، إذا كان الكرسي وسع السموات والأرض، والعرش فوق ذلك كله= فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله تعالى، كما ورد في حديث الإسراء الطويل.

ومنه قوله في صعود رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم =حتى يدل على العلو، والشاهد فيه في وجود موسى في السماء السادسة، ولكن ورد في حديث شريك استبدال أسماء أنبياء من سماء إلى سماء، فلذلك جاء البخاري بالتفصيل حتى بالأخطاء من شريك القاضي؛ لأنه سيء الحفظ، أما مسلم فلم يأت بحديث شريك، فقال: (... **وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ، وَزَادَ وَنَقَص**). (٨١)، ولم يأت بالأخطاء التي فيه، ومن هنا جاء لفظ البخاري (٨٢) أن موسى في السماء السابعة، والحقيقة أنه في السماء السادسة بتفضيل كلام الله=: ("... **فَقَالَ مُوسَى**") =بعد أن تجاوزه محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أي موسى يظن أنه أعلى مكانة في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام=:

("**رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ العِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلاَةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، ...**"). (٨٣)

=صعد ارتفع ثم هبط إذن فيه علوٌّ وهبوط، ففي العلوّ ربُّ العزة سبحانه وتعالى علوٌّ مطلق، لذلك في دعاء سداد الديون وقضائها: ("**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ**

---

(٨١) (م) ٢٦٢- (١٦٢).
(٨٢) (خ) (٧٥١٧).
(٨٣) (خ) (٧٥١٧).

شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"). (٨٤) ("... **وأنت الباطن**") لم يقل فليس تحتك؛ ولكن قال: ("**فليس دونك شيء**")، وهذه استدل بها الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى على علوِّ الله عز وجل، وأن الخلق كلَّهم في التحت، وأنه هو سبحانه وتعالى في الفوق.=

و =كذلك= حديث الجارية التي أتى بها سيدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، =وهذا الصحابي رضي الله عنه ضرب جاريته ثم رفعت إلى النبي شكوى في هذا الأمر، فقال: ائتني بها، فأتيته بها، النبي صلى الله عليه وسلم يريد الجارية،= قَالَ: (**بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)، قَالَ: (**وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟**) قَالَ: "**ائْتِنِي بِهَا**" فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: "**أَيْنَ اللهُ؟**" قَالَتْ: (**فِي السَّمَاءِ**)، قَالَ: "**مَنْ أَنَا؟**" قَالَتْ: (**أَنْتَ رَسُولُ اللهِ**)، قَالَ: "**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**". (٨٥)

=وفي رواية (٨٦) بينت أنها كانت أعجمية، فقالت؛ أنه في السماء بإصبعها، فلما قال لها: **من أنا؟** أشارت إليه وأشارت إلى السماء، انت رسول الله، ففهم من إشارتها الإيمان والتوحيد.=

و =كذلك= حديث النزول =إلى السماء الدنيا، لما ورد= عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "**يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ:**

---

(٨٤) (م) ٦١- (٢٧١٣).

(٨٥) (م) ٣٣- (٥٣٧).

(٨٦) انظرها في الصحيحة تحت حديث رقم: (٣١٦١).

أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ". (٨٧)

=وفي رواية: ("... **حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ...**"). (٨٨)

روايات كثيرة جدًّا في بيان الثلث، جاءت بالأثلاث كلها، فلعلها ثلث عند قوم يكون الثلث الأول، وعند غيرهم تكون ثلث الليل الآخر؛ لأن الليل لا ينتهي عن وجه الأرض، فلو اتصلتم الآن بالغرب لوجدتم أن النهار لم يطلع عليهم بعد، ولو اتصلتم بالمشرق لوجدتم أن اليوم التالي قد بدأت بشائره، يعني في اليوم الثاني، يوم الغد، شمس الصباح على وشك أن تطلع عليهم، فلذلك الليل مستمر والنهار مستمر.=

و =كذلك= في آية الكرسي: **{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**. (البقرة: ٢٥٥)، إنه العليّ بذاته فوق جميع خلقه، فلا يستطيع أحد منهم أن يدنو منه =سبحانه=، وأنه العظيم عن مماثلة أو مشابهة المخلوقين، ولا خالق سواه سبحانه وتعالى.

وقد آمن أهل السنة والجماعة بما أخبر الله عزّ وجلّ به في كتابه، وتواتر نقله عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا على أنه سبحانه =وتعالى= فوق السماوات على عرشه، عليٌّ على خلقه، فأصبح ذلك من المعلوم في الاعتقاد بالاضطرار من الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وقَبِلَت هذا الفطرُ السليمة، =فطرة الناس حتى كبار السن، الذين لم يقرءوا شرح الطحاوية ولا غيرها، لو سألتهم؛ أين الله؟ سيقولون لك: في السماء، بفطرتهم ويشيرون إلى الأعلى.

والذي يدعو ماذا يفعل؟ أين يوجه يديه؟ هل يوجهها في أي مكان؟ لو كان كما يقولون: إن الله في كل مكان، نسأل الله السلامة،= حتى غيرُ المسلمين يعتقدون أن الله في السماء، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام عظيم في هذا. (٨٩)

---

(٨٧) (م) ١٦٩- (٧٥٨).

(٨٨) (خ) (١١٤٥)، (م) ١٦٨- (٧٥٨).

ولما سئل أبو حَنِيفَةَ عَمَّنْ قَالَ: (**لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟**) فَقَالَ: (**قَدْ كَفَرَ**، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} (طه: ٥)، **وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ**)، قُلْتُ =السائل=: فَإِنْ قَالَ: (**إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: لَا أَدْرِي آلْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟**) قَالَ: (**هُوَ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَمَنْ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ**). وَزَادَ غَيْرُهُ: (**لِأَنَّ اللَّهَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَهُوَ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى، لَا مِنْ أَسْفَلَ. انْتَهَى**). (٩٠)

والسماءُ قبلة الدعاء، **وقد** اتفق الناس على أنه =عَلِيٌّ= عَلَى كلِّ شيء سبحانه، **بمعنى** أنه قاهر له، قادر عليه، متصرِّف فيه، فهو الأعلى بجميع معاني **العلوّ**، =فلا تقول علوَّ قهر فقط، ... بل بجيمع أنواع العلو المطلق:=

علوُّ الذات، **وعلوّ** القدرة على كل شيء، **وعلوّ** الغلبة والقهر لكل شيء، فسبحانه وحده لا شريك له، **تنزّه** عن كلِّ عيب ونقص، **فله** الكمال المطلق سبحانه.

ولا يجوز تأويل الفوقية بغير معناها الحقيقيّ، ومن قال بغير هذا فقد ضلّ، كمن زعم =بعض الناس= أنه =سبحانه= بذاته فوق العالم، وبذاته في كلّ مكان، =كيف يكون هذا؟= وهذا =من= القول الباطل يلزم عليه من الفساد ما ينزه الله =سبحانه و= تعالى عنه. (٩١)

أمّا المعيَّة:

فلا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن الله مع عباده أينما كانوا، قال الله تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ **مَعَ** الصَّابِرِينَ}. (البقرة: ٢٤٩)، وقال تعالى: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ **مَعَنَا**}. (التوبة: ٤٠)، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ **مَعَ** الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}. (النحل: ١٢٨)، وقال تعالى: {إِنَّنِي **مَعَكُمَا** أَسْمَعُ وَأَرَى}. (طه: ٤٦)، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

---

(٨٩) انظر درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٩)، (٧/ ٢٧)، والفتاوى (٤/ ٤٥).

(٩٠) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٣٨٧).

(٩١) انظر (شرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣).

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ **مَعَكُمْ** أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. (الحديد: ٤)،

هذه الآيات من كتاب الله عز وجل تثبت معية الله لخلقه وهو فوق عرشه بائن منهم سبحانه وتعالى، **وهي تنقسم إلى قسمين، =معية عامة لكل البشر، ومعية خاصة:=**

١- معية عامة لكل البشر، يعلم أحوالهم وأسرارهم، لا يخفى عليه منها شيء سبحانه وتعالى، قال الله =سبحانه و= تعالى: {إِلَّا هُوَ **مَعَهُمْ** أَيْنَ مَا كَانُوا}. (المجادلة: ٧)، وقال تعالى: {وَهُوَ **مَعَكُمْ** أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. (الحديد: ٤)، =وهذه المعية تشمل المسلم الكافر وغيرهم، لأنها عامة= وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ **مَعَهُمْ** أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. (المجادلة: ٧).

=وهناك نصٌّ أن الله مع المشركين في المعية العامة، فلاحظ هذا، قال سبحانه وتعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ **مَعَهُمْ** إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}. (النساء: ١٠٨)، وهذا الاستعمال للفظ المعية في هذه الآيات يقتضي أنه سبحانه =وتعالى= معهم أينما كانوا، بعلمه =يعلمهم،= وسمعِه =يسمعهم= وبصره =يبصرهم ويراهم=، يعلم ما هم عاملون، وهي معيّة عامة لكلِّ الخلق، المؤمنِ وغيرِه، =فلذا إن مررت بآيات المعية لابد أن تميّزَ بين المعية العامة والمعية الخاصة.=

٢- معيّة خاصة:

وهي **معيّة** التوفيق والنصر =والهداية= والتأييد، وهذه خاصة بالمؤمنين، لا ينالها سواهم، قال =سبحانه و= تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي **مَعَكُمْ** فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}. (الأنفال: ١٢)، وقال تعالى: {قَالَ لَا

تَخَافَا إِنَّنِي **مَعَكُمَا** أَسْمَعُ وَأَرَى}. (طه: ٤٦)، =وهذه عن موسى وهارون=، وقال =سبحانه و= تعالى: {قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا **مَعَكُمْ** مُسْتَمِعُونَ}. (الشعراء: ١٥)، وقال تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ **مَعَكُمْ** وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}. (محمد: ٣٥)، وقال =سبحانه و= تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ} =أي النبيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم= {فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ **مَعَنَا** فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. (التوبة: ٤٠).

=فانظر إلى معيّة التأييد.=

وقول أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في الغار؛ فقد ثبت عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (**قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا**)، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**». ([٩٢])

فالله سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه، وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره أين ما كانوا، وبتوفيقه ونصره وتأييده كذلك.

وكلُّ صفةٍ ذُكِرت له سبحانه وتعالى فهي على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى، بغير كيف نعلمه، ولا تمثيل نتوهّمه.

فمن **مثّل** فقد وقع في التجسيم، =فطالما أنك قلت مثل إذا صار جسما،= وشبّه صفات الخالق بصفات المخلوق، وهذا من أبطل الباطل، وقد دخل عليه هذا الباطل من محاولة تكييف صفات الله تعالى، =لا تسأل كيف؟ لأن العقل يقصر عن الكيف في ذات الله وصفاته،= وتصور أنها كصفات المخلوق سواء بسواء، وجهل أن العلم بكيفية الصفات فرع عن العلم بكيفية الذات.

([٩٢]) (خ) (٣٦٥٣).

نعم! من عرف ذات الإنسان =تعرفها جيدا= وكيفيتها، فثبتت له معرفة صفاته، =لكن كيف نعرف ذات الله؟ لا نعرف ذات الله، إذا ما أخبرنا الله به نثبته على حقيقته من غير تكييف ولا تعطيل، ومع التنزيه، فإذا كان= لم يعرف ذات الرب سبحانه وتعالى، **فأنى** له العلمُ بكيفية الصفات، **وقد** كفى الله =سبحانه و= تعالى عباده هذا العناء فقال تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)

فلماذا الخروج عن المنهج القويم، إلى القول بالتجسيم؟ أو الفرار منه إلى ما هو أقبح وهو القول بالتعطيل؟ وهو ما خَطَر للمبتدع، ولو اعتصم بالكتاب والسنة لكان في عافية من ذلك.

١٦- مَنْ قَاسَهُ مِنَ الْبَشَرْ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرْ ... وَقَدْ أَطَاعَ وَنَصَرْ أَمْرَ الْهَوَى الْمُتَّبَعِ

وهذا توكيد من الناظم رحمه الله على ما ذكر في البيت السابق، وأنه تعالى منزّه عن مشابهة المخلوقين في أي صفة من صفاته، **وأن** هذا منهج أهل السنة والجماعة، وأن من سلك غيره، ممن زعم أنّ الله =تعالى= في كلِّ مكان، أو لا داخلَ العالم ولا خارجَه، ولا فوقَ ولا تحت، فقد ضلّ، وعَمِيت بصيرتُه عن الحق، وأنهم لم يتدبروا كلام الله عزّ وجلّ، فالله لا يلحقه نقص ولا عيب، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا. ([٩٣])

****

المبحث التاسع: التذكيرُ بيوم الحساب

١٧- وَيْلاهُ مِنْ وَزْنِ الْعَمَلْ وَبَحْرُهُ عندِي وَشَلْ (٩٤) **... قَدْ غَاضَ** (٩٥) **طَامِيهِ وَقَلَّ فَمَا تَرَى فِي مَنْبَعِ**

(وَبَحْرُهُ نَدًى) (وَبَحْرُهُ عندِي).

([٩٣]) انظر (شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٦- ١٨٣).

([٩٤]) أي: قليل. (النهاية ٥/ ١٨٩).

([٩٥]) أي: غار ونقص. (النهاية ٣/ ٤٠١).

=ويلاه كلمة تحسر وتوجع، ف= **يتحسر الناظم** عما سيحدث يوم القيامة من خِفَّة الموازين لقلّة الأعمال، مع اتساع الفرص التي أتيحت للعبد في الدنيا، =حيث يجد العبد يوم القيامة أن الميزان ضعيف، ويلاه من وزن العمل،= حيث كان يستطيع أن يعمل أعمالا كالبحر الذي لا ساحل له، ولكنّ بعضَهم يوم القيامة ما اغتنم ذلك فقلّت أعمالهم، فكانت كالندى بالنسبة للبحر.

=**ندًى وشل**، لو أردنا ضبطها بالنسبة للنون والدال والألف المقصورة، والنون مفتوحة، والدال عليها تنوين، [والندى: المطر والبلل]. ([٩٦])

أو **عندي** وشل يتحدث عن نفسه، أنا ضعيف العمل.=

والوشل بالنسبة للنهر والبحر شيء قليل لا يذكر، =فالبحر يغني عن الوشل،= فقد غار =أي يوم القيامة؛ لأن يوم القيامة لا يوجد عمل،= ونقص طاميه أي بحره الغزير، =الذي يخرج الطمي من كثرته، وليس هناك منبع ومرتع للأعمال، فإن ذلك انتهى في الدنيا.=

=ففي= هذا تذكير من الناظم بما يحصى من عمل الإنسان خيره وشره، وبذلك اليوم الموعود الذي تنصب فيه الموازين، =والكِفَّة الواحدة من الميزان تسع السماوات والأرض، حتى لما خلق الله الميزان، قالت الملائكة: لمن خلقت هذا يارب؟ قال: لمن شئت من عبادي، كما سيأتي بنصه.

لذلك؛ كلمة سبحان الله تملأ الميزان، والحمد لله وسبحان الله تملآن ما بين السماء والأرض، وكلمة لا إله إلا الله لو وجدت في كفة والسماوات والأرض في كفة لرجحت بهن، فانظر إلى سعة رحمة الله تعالى،= ولا يجد الإنسان سوى ما قدمت يداه، **{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى}**. (النجم ٣٩- ٤٠)

وتنصب الموازين لمجازات الناس على أعمالهم، قال =سبحانه و= تعالى: **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا}** =وكلمة شيئا تدل على العموم والشمول، أي لا يترك

([٩٦]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٥٠٧).

من عملك شيء إلا وسيوضع في الميزان=، **{وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}**. (الأنبياء: ٤٧)، وقال =سبحانه و= تعالى: **{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** =ثقلت ماذا؟ ثقلت الموازين، موازين الحسنات= **{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ}**. (الأعراف: ٨- ٩)، =خفت موازينه وخسر، هذا في أي كفة؟ في الكفة التي فيها الحسنات، فميزان الحسنات خفيف أم ثقيل؟ هنا يأتي الخسران ويأتي الحسرة يوم القيامة،= وقال تعالى: **{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}**. (المؤمنون: ١٠٣)، وقال تعالى: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}**. (الزلزلة: ٧- ٨)، وقال تعالى: **{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}**. (القارعة: ٦- ٩).

والميزان =وهميٌّ أم حقيقيٌّ يوم القيامة؟= حقيقيٌّ محسوس، له كفتان توزن فيه الأعمال، وهي محسوسةٌ أيضا ولها ثِقْل، ([٩٧]) =ولها وزن، فقد= روى الحاكم في مستدركه عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ**، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: **يَا رَبِّ! لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟!** فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: **لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي**، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: **سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ**.

وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: **يَا رَبِّ! مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟!** فَيَقُولُ: **مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي**، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: **سُبْحَانَكَ، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ**"). ([٩٨])

([٩٧]) [(الثِّقْلُ): واحد الأَثْقالِ، مثل حِمْلٍ وأحمالٍ. ومنه قولهم: أعطه ثِقْلَهُ، أي وزنَه]. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٦٤٧).

([٩٨]) (ك) (٨٧٣٩)، انظر الصَّحِيحَة (٩٤١)، صَحِيح التَّرْغِيبِ (٣٦٢٦).

-قَالَ إِمَام الْحَرَمَيْنِ: الْوَزْن لِلصُّحُفِ الْمُشْتَمِلَة عَلَى الْأَعْمَال، وَيَقَع وَزْنهَا عَلَى قَدْر أُجُور الْأَعْمَال. وَقَالَ غَيْره: يَجُوز أَنْ تُجَسَّد الْأَعْرَاض فَتُوزَن، وَمَا ثَبَتَ مِنْ أُمُور الْآخِرَة بِالشَّرْعِ لَا دَخْل لِلْعَقْلِ فِيهِ. (فتح الباري) (ح٢٢).-

وقد ثبت عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ("**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**"، قَالَ: "**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**"). رواه الترمذي وقال: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) (٩٩)، =إذا ما الذي يوزن الآن؟ الكتب.=

فهذا يثبت وزن صحف الأعمال وكتبها.

وهناك ما يثبت وزن الأجساد والأشخاص، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ("**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**، وَقَالَ: **اقْرَءُوا، {فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا}**". (الكهف: ١٠٥). (١٠٠)

=ومما يدل أيضا على وزن الأجسام؛ فقد ضحك الصحابة من دقة ساقي عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عندما صعد شجرة، فقد= روى أحمد وغيره عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: (**أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ**) (**مِنْ الْأَرَاكِ**)، (**فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا**) (**بِسِوَاكٍ**)، (**فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ، فَضَحِكُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ**)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟!**")

---

(٩٩) (ت) (٢٦٣٩).

(١٠٠) (خ) (٤٧٢٩)، (م) ١٨- (٢٧٨٥).

قَالُوا: (**يَا نَبِيَّ اللهِ! مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ!**) فَقَالَ: ("**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**"). (١٠١)

أما ما يدل على وزن الأعمال والأقوال =والكلمات= ما ثبت عند أبي يعلى، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (**لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا ذَرٍّ**)، فَقَالَ: ("**يَا أَبَا ذَرٍّ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهَا؟!**") قَالَ: (بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!) قَالَ: ("**عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجَمَّلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهِمَا**"). (١٠٢)

وقد ختم الإمام البخاري كتابه الجامع الصحيح =في آخر حديث فيه= بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ("**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**"). (١٠٣)

فما وردَ في الكتاب والسنة من وصف هذا الموقفِ المهولِ يجعل كلَّ إنسانٍ يؤمنُ بالله واليوم الآخر، **يحسِب** له الحسابات الدقيقة، سيَّما والإنسانُ ضعيفٌ بطبعه، كثيرُ الملل، ميالٌ إلى اللهو ونسيانِ الآخرة.

فعمل الخير بحْرٌ لا ساحل له، والشرُّ كذلك، **وليس** لدى الإنسان من عملِ الخير إلا شيءٌ قليلٌ في مقابل عنايته بدنياه الفانية، وغفلتِه عن يومِ وزنِ العمل، **فيجد** أنه فرّط في التزوُّدِ من بحور الخير العظيمة التي يَسَّرَها له الربُّ في الدنيا، وجعلها سهلةً في متناول كلِّ من أراد ذلك.

---

(١٠١) (حم) (٩٢٠)، (٣٩٩١)، وحسن إسنادهما الأرنؤوط. (حب) (٧٠٦٩)، (خد) (٢٣٧)، وانظر الصَّحِيحَة (٢٧٥٠)، (٣١٩٢)، وحسنه الألباني في الإرواء تحت حديث: (٦٥).

(١٠٢) (يع) (٣٢٩٨)، (طس) (٧١٠٣)، صَحِيح الْجَامِع (٤٠٤٨)، الصَّحِيحَة (١٩٣٨).

(١٠٣) (خ) (٧٥٦٣)، (م) ٣١- (٢٦٩٤).

لكن الإنسان اشتغل =في هذه الحياة= بعناءِ الدنيا ومكاسبِها الصعبةِ المنال، سريعةِ الغدر والزوال، =هذه هي الدنيا= فجاء بعملٍ قليلٍ زهيد، =كلُّ إنسان مِنَّا يتمنى أن لو كان عمل في الدنيا العمل الكثير في هذا العمر القصير الذي أعطيَه.=

ولو أراد تصحيحَ الخطأِ وتعديلَ المسار، ما وجد إلى ذلك سبيلا، فقد جفَّ في هذا اليوم مجرى كلِّ عملِ خيرٍ أو شرٍّ، وتوقفت المنابع، ولم يبق سوى الحصاد، ولا مطمع حينئذ إلا في عفوِ الله وكرمه، ومغفرته وواسع رحمته، وإلاّ هلك الهالكون والعياذ بالله.

****

المبحث العاشر: الإيمان بالجنة والنار

=أولا: النار:=

١٨- وَاعْتَرَضَتْ جَهَنَّمُ وَنَارُهَا تَضْطَرِمُ ... وَكُبَّ فِيهَا الْمُجْرِمُ وَقِيلَ يَا نَارُ ابْلَعِي

=**تضطرم**؛ الأفعال التي تبدأ بالطاء والضاد وما شابه ذلك أحيانا لا تظهر فيها التاء، فتتحول إلى طاء، وهذا في مخارج الحروف لأنها تختلف، وهي معدودة.=

فمنهج أهل السنة والجماعة الإيمان بوجود **الجنة والنار**، =فالكل يؤمن بهما، ولكن ماذا قصد عندما أتى بها هنا؟ قال ذلك لأن بعض الطوائف قالت: إنها تخلق في وقتها، وأنها لم تخلق بعد، والنار تخلق في وقتها، ولم تخلق بعد، وهذا رد عليهم= وأنهما مخلوقتان، وقد خلقت **الجنة** لعباد الله المتقين =كما= قال الله تعالى: **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}**. (آل عمران: ١٣٣)، وقال =سبحانه و= تعالى: **{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**. (الحديد: ٢١)

وكذلك **النار** خلقها الله لعباده العاصين، قال الله =سبحانه و= تعالى: **{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**. (البقرة: ٢٤)، وقال =سبحانه و= تعالى: **{وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**. (آل عمران: ١٣١)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء عند البخاري: (**"ثُمَّ انْطَلَقَ بِي"**)، =أي جبريل عليه السلام= (**"حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟!"**) =أي من كثرتها= (**"ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ"**) =جمع حَبْل، والحبل قد يطلق ويراد به الحبل المعروف، لكن قد يطلق به مرتفع الرمل، والذي هو أصغر من الجبل، وجمعه حبايل، وهو الجبل الصغير= (**"وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ"**). (١٠٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**"دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ"**)، قَالَ: (وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟). (١٠٥)، =الحديث مختصر، لكن هذا القصر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رغم أنوف الرافضة، له قصر في الجنة.=

وقال صلى الله عليه وسلم في غضون خطبة الكسوف =والخسوف=: (**"لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ»**). (١٠٦)

---

(١٠٤) (خ) (٣٤٩)

(١٠٥) (خ) (٧٠٢٤)، (م) ٢٠- (٢٣٩٤).

(١٠٦) (خ) (١٢١٢)، (م) ٣- (٩٠١).

وقال صلى الله عليه وسلم: **"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"** قَالُوا: **وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ"**. (١٠٧)، =فهذا يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان، وكثيرًا ما تتزيَّن الجنة وتزداد زينة، وكذلك النار تزداد استعارا واشتعالا لأهلها كل يوم.=

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (**"لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عليه السلام إِلَى الْجَنَّةِ**، فَقَالَ: **انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ** فَقَالَ: **وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ اللهُ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ"**)، ("ثُمَّ قَالَ: **يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا**، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: **وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ** قَالَ: **يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا"**)، (**"وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا"**)، =فالنار أعدت للمتكبرين، فلا تكن متكبّرًا على عباد الله، لو أكرمك الله بأن تكون رئيسا أو وزيرا، إياكم!! وهذه نصيحتي لكم، فمصير المتكبّر والمتجّبر إلى النار= (**"فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا**، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: **وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا**، قَالَ: **فَأَمَرَ اللهُ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ**، فَقَالَ: **ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا** فَقَالَ: **وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا"**). (١٠٨)

هذا مما ورد في الكتاب والسنة، **وهو** من الأدلة الصحيحة الصريحة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، **وليس** كما زعم البعض أنهما ستخلقان فيما بعد!

وفي هذا البيت يصف الناظم رحمه الله جهنم، وحالَ من أهلكَه عملُه، وفارقته رحمة الله عزَّ وجلَّ، فجهنَّمُ في يوم نَصْبِ الموازين، ومحاسبةِ العباد المؤمن والكافر، والفاسق والفاجر، تكون معترضة بين المحشر والجنة، منصوب عليها الصراط؛ أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف.

---

(١٠٧) (م) ١١٢- (٤٢٦).

(١٠٨) (ت) (٢٥٦٠)، (س) (٣٧٦٣)، (د) (٤٧٤٤)، (حم) (٨٣٧٩)، صَحِيح الْجَامِع (٥٢١٠)، المشكاة (٥٦٩٦)، صحيح موارد الظمآن (٢٢١٩).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، في حديث جاء فيه قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («... **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ؛ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ.**

فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: **مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟** قَالُوا: **كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ،** فَيُقَالُ: **كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟** قَالُوا: **عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.**

ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: **مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟** قَالُوا: **كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ،** فَيُقَالُ لَهُمْ: **كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ،** فَيُقَالُ لَهُمْ: **مَاذَا تَبْغُونَ؟** فَيَقُولُونَ: **عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا،** قَالَ: **فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.**

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى؛ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: **فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ،** قَالُوا: **يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ،** فَيَقُولُ: **أَنَا رَبُّكُمْ،** فَيَقُولُونَ: **نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ.**

فَيَقُولُ: **هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟** فَيَقُولُونَ: **نَعَمْ! فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ.**

وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ.

ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا.

ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: **اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ").**

قِيلَ: **(يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟!)** قَالَ:

("دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ.

يَقُولُونَ: **رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ،** فَيُقَالُ لَهُمْ: **أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ.**

ثُمَّ يَقُولُونَ: **رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ.**

فَيَقُولُ: **ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا.**

ثُمَّ يَقُولُونَ: **رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا.**

ثُمَّ يَقُولُ: **ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا.**

ثُمَّ يَقُولُونَ: **رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا.**

ثُمَّ يَقُولُ: **ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا")**.

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: (**إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ** فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: **{إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}**). (النساء: ٤٠)

("فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟")**

فَقَالُوا: (**يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ!**) قَالَ:

("**فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ؛ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ.**

ثُمَّ يَقُولُ: **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ**، فَيَقُولُونَ: **رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ!** فَيَقُولُ: **لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا**، فَيَقُولُونَ: **يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟!** فَيَقُولُ: **رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**"،...

وفي رواية: فَيُقَالُ لَهُمْ: «**لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: (بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ). ([١٠٩])

([١٠٩]) (م) ٣٠٢- (١٨٣).

فالنار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، **وهي** لكلِّ عُتُلٍّ جوّاظٍ مستكبر، **وهي** عذاب الله تعالى، يعذب بها من يشاء من عباده، نستجير بالله من غضبه وعذابه.

=ثانيا: الجنة:=

١٩- وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ تَزَخْرَفَتْ لِمَنْ عَبَدْ ... وَقَامَ لَيْلا وَسَجَدْ فِي طِمْرِهِ الْمُرَقَّعِ

والجنة درجات أعلاها الفردوس، =فقد جاء في الحديث: («.. **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**». =([١١٠])

فعليك يا عبد الله! أن تجتهد في العبادة آناء الليل وأطراف النهار، وأن تزهد في الدنيا وترضى منها بالملابس التي تستر العورة وتقي الحرَّ والبرد، حتى تفوزَ بجنة الفردوس التي زخرفها الرحمن وزيَّنها.=

=من أين أخذنا هذا؟ قال: من طمره المرقع، فالطمر الملابس البالية التي مخرقة وهي مرقعة.

هذا أعلى شيء في الجنة الفردوس، وأدنى الجنة ما ورد أن آخر أهل الجنة دخولا لو استضاف أهل الدنيا منذ أن خلقها الله عز وجل إلى أن انتهت أهل الدنيا استضافهم فأطعمهم وسقاهم ولحفهم وزوجهم لم ينقص من مالهم شيء، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**يَكُونُ قَوْمٌ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يَرْحَمُهُمُ اللهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا، فَيَمْكُثُونَ فِي أَدْنَى الْجَنَّةِ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَيَوَانَ، لَوْ أَضَافَ أَحَدُهُمْ أَهْلَ الدُّنْيَا لأَطْعَمَهُمْ وَسَقَاهُمْ وَلَحَفَهُمْ، وَلَزَوَّجَهُمْ؛ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ شَيْئًا**"). ([١١١])

هذا أقل شيء هناك، فكيف بما فوق ذلك؟ آخر واحد يخرج من جهنم؟ نعم، لاحظ لو بات أهل الدنيا عنده، لأطعمهم وسقاهم، ولحفهم أي غطاهم.=

([١١٠]) (خ) (٧٤٢٣).

([١١١]) (صم) (٨٣٤)، (حب) (٧٤٢٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، وقال الأرناؤوط في (حب): إسناده قوي.

فالجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا يخطر على قلب بشر، مما أعدَّ الله فيها من النعيم لعباده المؤمنين، الذين عبدوه، **وقاموا** في طاعته ليلا ونهارا، ودعوه ورجوا رحمته سرًّا وجهارا، في بُعْدٍ عن شهوات الدنيا وملذَّاتها، من مأكل ومشرب، وملبس ومركب، مستشرفين للدار الآخرة وما أعد الله في الجنة من الراحة والنعيم الدائم، الذي لا يحول ولا يزول،

=وطبعا هذا للكمال، لكن قد يكون الإنسان يحتاج لأن يلبس ليس طمرا، بل يلبس ملابس حسنة،كما كان هو رحمه الله يرفل في بَزَّة فاخرة، رحمه الله، ومن الصحابة رضي الله عنهم من يحب أن يلبس أفضل الملابس، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ("**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**")، قَالَ رَجُلٌ: (إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً)، قَالَ: ("**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**"). (١١٢)، وهكذا فهذا لا يمنع، ومع هذا فلا يكون في قلبه تكبرٌ على عباد الله سبحانه وتعالى.=

٢٠- وَنَهَدَتْ أَبْكَارُهَا وَاطَّرَدَتْ أَنْهَارُهَا ... وَغَرَّدَتْ أَطْيَارُهَا فِي كُلِّ غُصْنٍ مُونِعِ (١١٣)

=يقول الناظم رحمه الله تعالى: وهناك في جنة الفروس أعدَّ الله لأهلها الحورَ العين، والأبكارَ النواهد، والأنهارَ الجارية، والطيور المغرِّدة، على الأغصان ذوات الثمار الناضجة.=

ففي هذا البيت؛ يذكر الناظم رحمه الله =ويذكِّر= بما أعدّ اللهُ لعباده في الجنة من الحور، فمنهن الكواعب الأبكار، كما قال =سبحانه و= تعالى: **{فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا* عُرُبًا أَتْرَابًا}**. (الواقعة: ٣٧)، وأنَّهُنَّ في غاية من الحسن والجمال **{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}**. (الرحمن: ٧٢)

لا يتمتع بهنَّ أحدٌ سواهم، قُصِرَ الطَّرْفُ منهنَّ على من خُلقْن =له، وعلى من خلقن= من أجلهم، فلا يرين حسنا في غيرهم، =أي في أزواجهن، لذلك هن حور مقصورات،= ولا يتمنَّين

---

(١١٢) (م) ١٤٧- (٩١).

(١١٣) مصدر ينع ينيع، أي أدرك النضج (النهاية ٥/ ٣٠٣).

سواهم، **{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}**. (الصافات: ٤٨)، **{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ}**. (ص: ٥٢)، **{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}**. (الرحمن: ٥٦)

هنَّ أزواجهم، قال =سبحانه و= تعالى: **{كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}**. (الدخان: ٥٤)، وقال تعالى: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}**. (الطور: ٢٠)

هكذا جزاهم ربهم لقاء صبرهم على طاعته في الدنيا، بأن يكونوا مع أزواجهم **{وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}**. (الواقعة: ٢٢- ٢٣)

هكذا جزاهم ربهم؛ لقاء صبرهم على طاعته في الدنيا، بأن يكونوا مع أزواجهم: **{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ* وَظِلٍّ مَمْدُودٍ* وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ* وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ* وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}**. (الواقعة: ٢٨- ٣٤)

=أما= ختام المسك؛ **دعاء وابتهال:**

٢١- يَا مَنْ لَهُ تَبَتُّلِي فِي كُلِّ لَيْلٍ أَلْيَلِ ... وَمَنْ إِلَيْهِ مَوْئِلِي دُونَ الْوَرَى وَمَفْزَعِ

=**يستغيث الناظم بربّه** سبحانه وتعالى فيقول: يا الله! يا من أتبتل إليه بالطاعة، أي أَنْفَرِدُ لَهُ فِي طاعتِه، =فالتبتل معناه الانقطاع والانفراد، وبذا سميت مريم؛ البتول لأنها انقطعت عن الزواج.

فيتبتلُ المسلم= وذلك بقيامِ الليل، ويا من إليه المرجع والمآب، ويا مفزعي؛ أي يا ملجئي دون الخلق أجمعين.=

هذا التوجه الصحيح في الدعاء من الناظم رحمه الله =هذا= هو منهج أهل السنة والجماعة، فالله وحده المسئول؛ عملا بقوله =سبحانه و= تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**. (البقرة: ١٨٦)

وعملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: ("**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ.**

إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ") =ولاحظ هنا اجتمعت؛ جاءت بتاء التأنيث تعود على جماعة الأمة= ("**عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ.**

وَلَوْ اجْتَمَعُوا") =والواو واو الجماعة، تعود على الأشرار من الناس= ("**عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ.**

رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ") قال الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). (١١٤)

=هذا هو العمل بالكتاب والسنة، وكونه= مُسَيَّراً بأحد الأوقات التي هي من مظان إجابة الدعاء، وهو ما ورد من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**". (١١٥)

وهذا هو النهج الصحيح، لا ما يقع فيه الكثيرون من الناس من الرجوع إلى بعض الصالحين وقد ماتوا، فيستعينون بهم على قضاء حوائجهم، =ويدعونهم= ولا يجديهم ذلك شيئا؛ لأنه خلاف المنهج الصحيح.

ختام الكلام بالصلاة والسلام على خير الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام:

٢٢- صَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرْ مِنْ كُلِّ أُنْثَى وَذَكَرْ ... مُحَمَّدٍ وَجْهِ الْقَمَرْ ذِي الْجَانِبِ الْمُمَنَّعِ

---

(١١٤) (ت) (٢٥١٦).

(١١٥) (م) ١٦٦- (٧٥٧)، (حم) (١٤٣٩٤).

=**صَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرْ** إذا هو يطلب من الله سبحانه وتعالى، ويقول: يا الله يا من له تَبَتُّلي ... الخ، يصف الله بصفات يطلب من الله ويدعو الله بأن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم خير البشر.

مِنْ كُلِّ أُنْثَى وَذَكَرْ؛ وهذا يدل على أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر.

مُحَمَّدٍ وَجْهِ الْقَمَرْ؛ عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قال: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ**)، فَقَالَ رَجُلٌ: (**وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟**) قَالَ: (**لَا! بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ**). ([١١٦])

ذِي الْجَانِبِ الْمُمَنَّعِ، أي محفوظ الجناب، عالي المكانة، شديد المهابة، صلى الله عليه وسلم=.

وهذا من أعظم الدعاء حرص عليه الناظم رحمه الله عملا بالكتاب والسنة =فقد= قال الله تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}. (الأحزاب: ٥٦)

وقال صلى الله عليه وسلم: ("... **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**،..."). ([١١٧])

وقد سأل الصحابة رضي الله =تعالى= عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ("**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**"). ([١١٨])، =هذه إحدى الروايات السبع في كيفية الصلاة عليه، صلى الله عليه وسلم.=

([١١٦]) (م) ١٠٩- (٢٣٤٤).

([١١٧]) (م) ١١- (٣٨٤).

([١١٨]) (خ) (٣٣٦٩)، (م) ٦٩- (٤٠٧).

وقد منح الله رسوله محمدَ بنَ عبد الله صلى الله عليه وسلم، من الكمال البشري، في الدين والخُلُق والخَلْق، ما لم يمنحْ غيره صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الأنبياءُ أكملَ الخَلقِ وأفضلَهم، والرسلُ أكملَ من الأنبياء وأفضلَ.

وأُولو العزم؛ وهم: نوحٌ وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمد، صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين، أكملُ من الرسل، =فهؤلاء الخمسة أكمل الرسل،= ورسول الله محمد هو صاحب المقام المحمود، ينفع الله بشفاعته الخلق، فيأذن سبحانه بفصل الحساب =بالشفاعة العظمى، وهو أكملهم وأفضلهم.

ف= اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، **كما** صليت على آل إبراهيم، **وبارك** على محمد وأزواجه وذريته، **كما** باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد؛ **{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**. (الصافات: ١٨٠- ١٨٢)

هذا ما يسّر الله =سبحانه و= تعالى لنا بحثه =وتوضيحَه=، **فله** الحمد والشكر على توفيقه، **ونسأله** عز وجل أن يجعله عملا =صالحا= خالصا متقبَّلا، **تُثقَّل** به موازين حسناتنا، **وحسنات** مشايخنا وعلمائنا، وآبائنا وأمهاتنا، وأولادنا وذرياتنا، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، **وأن** ينفع به من طالعه، أو استمع إلى قراءته، أو نسخه ووزَّعه، ومن صحَّح، وأرشد إلى خير وستر العيبَ ونصح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وتمّت قراءته على الطلاب في يوم الأحد- ٢٠/ ربيع الآخر/ لعام: ١٤٣٩قمرية، **الموافق**: ٧/ ١/ ٢٠١٨شمسية، من الساعة التاسعة صباحا، **وحتى** الحادية عشرة والنصف قبيل الظهر، في مسجد الزعفران بالمغازي- محافظة الوسطى، غزة- فلسطين حرسها الله، وحررها من كيد الغاصبين.

وصلى الله وسلم وبارك على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيِّنا محمد، **صلى** الله عليه وعلى آله وصحابته، **ومن** تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.